المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية
كلية الدعوة بالمدينة المنورة
الدراسات العليا
قسم الاستشراق
شعبة: الدراسات الإسلامية
"الدراسات التاريخية"



موقف المستشرق "سيديو SEDILLOT" من السيرة النبوية

دراسة نقدية من خلال كتابه تاريخ العرب العام

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب
سلطان بن عمر بن عبد العزيز الحصين

إشراف
الأستاذ الدكتور حامد غنيم أبو سعيد

العام الجامعي ١٤١٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

أحمد الله وأشكره على ما أمدني به من عون وتوفيق لإنجاز هذا البحث وأسأله سبحانه التوفيق والسداد في المراحل القادمة.

وإعترافاً لأهل الفضل بفضلهم فإني أتقدم بخالص شكري وتقديري **للأستاذ الدكتور حامد غنيم أبو سعيد** المشرف على هذه الرسالة والذي بذل لي جهده ووقته ونصحه.

وأشكر أستاذي **الدكتور محمد خليفه حسن رئيس قسم الاستشراق** على جهده معي ومع زملائي طيلة أيام دراستي بالقسم ، كما أخص بالشكر كذلك **الدكتور محجوب كردي رئيس قسم الاستشراق سابقاً** حيث بذل لنا كل رعاية وإهتمام ، وكذلك الدكتور **عبد الله الرحيلي** على ما أبداه من نصح وتوجيه وأشكر أيضاً زملائي **عائض الحجيلي ومحمد نور الدين منشي** على تعاونهما المثمر ، كما أشكر المناقشين الفاضلين على تحملهما عناء قراءة البحث وتقويمه.

ولا يفوتني أن أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية متمثلة في كلية الدعوة بالمدينة المنورة على إتاحتها الفرصة لي لمواصلة الدراسات العليا ، ولا أنسى أن أشكر كل من ساهم في هذا البحث بأي عون أو نصح أو مشورة ، لأولئك جميعاً مني أزكى الشكر والإمتنان ومن الله عظيم الأجر والثواب.

سلطان بن عمر الحصين

المدينة النبوية

١٤١٣/٦/١٥هـ


المقدمة

١ - المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد:

تتناول المقدمة ذكر لمحة موجزة عن أهمية موضوع البحث ومشكلته والدراسات السابقة ومنهج البحث.

٢ - أهمية البحث وسبب اختياره:

فى جانب الدراسات الاستشراقية نجد أن السيرة النبوية تأخذ حيزا كبيراً من كتابات المتشرقين حول الإسلام ، ونكاد لانجد كتاباً ، عن الإسلام وتاريخه إلا وقد تناول شيئاً من سيرة النبي (ﷺ) وشخصيته.

بل إننا نجد أن معظم مترجمي القرآن من المستشرقين قدموا لذلك بمقدمة عن السيرة النبوية العطرة وبعضهم كان هدفه من الترجمه للقرآن هو عرض الجانب الفلسفي والفكريباعتبار هذا القطاع هاماً في دراسة تاريخ الرسول (ﷺ) وتاريخ الفتوح الإسلاميه.(١)

ولقد لاقت تلك الكتابات الاستشراقية عند المسلمين الإعجاب حينا والنقد والرد أحايين كثيرة ، وجاءت ردود المسلمين على أكابر المستشرقين أمثال كارل بروكلمان BROCKELMMANN (٢)وجولدزيهر GOLDZIEHR(٣) ومونتغمري

---

١) عبد المتعال محمد الجبري : السيرة النبوية وأوهام المستشرقين (القاهرة - دار التوفيق النموذجية - ١٤٠٨هـ)ص٥

٢) كارل بروكلمان : مستشرق ألماني (١٨٦٨-١٩٥٦) تخرج من قسم اللغات السامية على أعلام المستشرقين ومنهم نولدكم ، وطارت له شهرة في فقه اللغة العربية وفي التاريخ الإسلامي وتارخ الأدب العربي . من آثاره : المعجم السرياني ، علم اللغات السامية ، تاريخ الشعوب الاسلامية

٣) جولد زيهر : مستشرق مجري (١٨٥٠-١٩٢١) من كبار المستشرقين وأساتذتهم تضلع من العربية على بعض مشايخ الأزهر ، عضو فعال في العديد من المجامع العلمية ومؤتمرات المستشرقين ترك أعمالا علمية كثيرة منها :العقيدة والشريعة في الإسلام

وات MONTGOMERY WATT[1] ولويس ماسنيون LOUIS[2] MASSINGNON ومارجليوث MARGOLIOUTH [3] وغيرهم.

ولقد جاءت مواقفهم العامة تجاه السيرة النبوية متشابهة إلى حد ما فكثير منهم يصف كتاباته بالموضوعية والعلمية ولكنه يخرج عن المنهج الذي رسمه لنفسه وكثير منهم ينظر إلى شخصية الرسول (ﷺ) على أنه شخصية مبدعة ومجددة ومصلحة ولكنهم يسلبون عنه صفة النبوة وخاصية الرسالة والوحي.

وهناك بعض المستشرقين ممن شاركوا بكتاباتهم في السيرة النبوية ولكنهم لم يحظوا بذلك البريق من الشهرة مع العلم أنهم قدموا أعمالا لاقت رواجاً وانتشاراً لاتقل كثيراً عن أعمال المستشرقين المشهورين ومن بين هؤلاء المستشرقين المستشرق الفرنسي «سيديو» أستاذ التاريخ في كلية سان لويس ويأتي كتابه تاريخ العرب العام في مقدمة كتبه التى ذاع صيتها وتلقفتها أيدي الدارسين في كثير من الجامعات الغربية والشرقية.

ويمكن تلخيص أهمية البحث وسبب اختياره في النقاط التالية:

١ - المساهمة في الدفاع عن سيرة الرسول الكريم (ﷺ) ضد شبهات ومطاعن المستشرقين.

٢ - أهمية السيرة النبوية في كتابات المستشرقين وتركيزهم عليها في أغلب دراساتهم.

٣ - الكشف عن أحد المستشرقين الذين قدموا أعمالاً في السيرة النبوية

---

١) مونتغمري وات: مستشرق إنجليزي ، عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبره ، من آثاره:محمد في مكة، محمد في المدينة

٢) لويس ماسنيون: من أشهر المستشرقين الفرنسيين (١٨٨٣-١٩٦٢م) عُني بدراسة التصوف وخاصة الحلاج الذي كان موضوع دراسته للدكتوراه شارك في دائرة المعارف الإسلامية كما شارك في مؤتمري المستشرقين الخامس عشر والعشرين

٣) مارجليوث : مستشرق إنجليزي(١٨٥٨-١٩٤٠) من أشهر أساتذة العربية من الغربيين ، عضو المجمع العلمي في دمشق ، والمجمع اللغوي البريطاني ، من آثاره : محمد ونهضة الإسلام

والتاريخ.

٤ - انتشار كتاب تاريخ العرب العام بين القراء والباحثين الغربيين والشرقيين وتعدد ترجماته إلى اللغات الأجنبية.

٥ - عدم صدور دراسة مستقلة عن المستشرق سيديو أو عن كتابه تاريخ العرب العام فيما يعلم الباحث.

٦ - تباين وجهات النظر في الحكم على كتاب تاريخ العرب العام بين مادح وقادح والحاجة إلى الحكم على موقف تلك الآراء على المستشرق في ضوء موقفه من الإسلام عامة ومن السيرة النبوية على وجه الخصوص.

مما سبق أحسب أن دراسة هذا الموضوع مسألة جديرة بالاهتمام وهذا ماسيحاول الباحث القيام به، سائلاً المولى تبارك وتعالى التوفيق والعون.

٣ - مشكلة البحث:

يناقش البحث الموضوعات التالية:

١ - آراء «سيديو» في شخصية الرسول (ﷺ) وحياته الخاصة.

٢ - آراء «سيديو» في علاقة الرسول (ﷺ) بالصحابة.

٣ - آراء «سيديو» في علاقة الرسول (ﷺ) باليهود.

٤ - آراء «سيديو» في موقف الرسول (ﷺ) من العقائد.

٥ - آراء «سيديو» في موقف الرسول (ﷺ) من العبادات.

٦ - منهج «سيديو» في عرض السيرة النبوية.

٤ - الدراسات السابقة:

تنقسم الدراسات السابقه فى هذا المجال إلى قسمين:

فالأول :

قد تطرق مباشرة إلى المستشرق «سيديو» وكتابه تاريخ العرب العام وتناول بالتحديد بعض جوانب السيرة النبوية في هذا الكتاب.

والثاني:

تطرق إلى جوانب من السيرة بحثها المستشرق «سيديو» فى كتابه الذي بين أيدينا كما بحثها غيره من المستشرقين فجاءت تلك الدراسات إما مكررة ومؤيدة لما ذكره «سيديو» أو ناقدة لآراء أولئك المستشرقين الذى وافقت مواقفهم من السيرة النبوية موقف المستشرق «سيديو».

ومن بين الدراسات التي تناولت الموضوع مباشرة ماذكره الأستاذ مصطفى حلبي في معرض حديثه عن المصادر الاستشراقية التى تعرضت للحديث عن الرسول (ﷺ) حيث ذكر خمسة مصادر من بينها كتاب تاريخ العرب العام للمستشرق «سيديو» وفي حديثه عن شبهة تأثر النبي بالنصرانية أورد أقوال بعض المستشرقين الذين يقولون بذلك ومن بينهم «سيديو» حيث قال: (وممن آثار هذه الشبهة المستشرق «سيديو» في قوله: «وكان أول سفره إلى الشام مع عمه أبي طالب فبلغ بصرى فاجتمع ببحيرى الذي كان اسمه لدى النصارى جرجيس أو سرجيس فنال حظوة عنده»[1]وقد رد على هذه الفرية إلا أن هناك الكثير من الشبهات غيرها لم يبحثها وهذا راجع إلى أن بحثه لم يكن مقتصراً على «سيديو» بل يشمل عامة من كتب في السيرة من المستشرقين.

ويتطرق الجبري إلى إحدى مزاعم «سيديو» المتعلقة بعقوبة القصاص فيقول : «تحدث سيديو عن الاسلام ونصيب الأخلاق في تعاليمه فذكر دعوة النبي (ﷺ) للأخلاق ثم قال -أى سيديو- بيد أنك لاتجد في القرآن مافي الإنجيل من التسليم الذي يفيد كثيراً عند الشدائد فترى محمداً يأذن بين كثير من التناقضات فى مقابلة السيئة بالسيئة كأن الناس لم يكونوا مستعدين لهذا من

---

[1] مصطفى عمر حلبي: الخلفية الثقافية لاتجاهات المستشرقين في دراسة شخصية الرسول(ﷺ)، رسالة البحث المكمل للماجستير قسم الاستشراق، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٩هـ، ص٢٦، ٣٨

قبل»··ومحمد حين يقول بمبدأ القصاص الذي رضي عنه اليهود -مع ذلك- يكون قد ساير أحكام زمانه وقومه» (١)·ويكتفى عبد المتعال الجبري بالرد على هذه الشبهة ولايتعدى إلى غيرها·

وعنون دياب للفصل الثانى عشر من كتابه أضواء على الاستشراق والمستشرقين بعنوان بعض (المستشرقين المتعصبين) وذكر من بينهم المستشرق «سيديو» وكتابه تاريخ العرب العام حيث قال عنه «إن الكاتب سلك مسلك التمويه فأشاد بالإسلام في مقدمة كتابه وحشى بداخله الكثير من الافتراءات على الإسلام ونبي الإسلام» ويقول أيضاً : «يريد سيديو أن يجعل الإسلام من وضع محمد وقد وضعه بصفته زعيماً سياسياً استخدم الدين وسيلة لتحقيق برنامجه السياسي» (٢)·

ومما يؤخذ على دياب فى معالجته لمنهج «سيديو» فى تناوله للسيرة أنه يعرض الشبهة ويكتفى بنفيها دون تقديم أدلة علمية تدحض شبهات المستشرق المثارة·

ومن الدراسات السابقة أيضاً بعض التعليقات التي أثبتها زعيتر مترجم الكتاب، ولكن هذه التعليقات جاءت قاصرة وموجزة وأهملت الكثير من المواطن التي يجدر التعقيب عليها·

وقد عُرضت ترجمة زعيتر على مجمع البحوث الإسلامية فذيل تعقيباً فى آخر الكتاب في حدود ثمانٍ صفحات نقداً للكتاب كاملاً وقد اشتمل ذلك النقد على بعض موضوعات السيرة النبوية ولكنها كذلك روعي فيها الإيجاز والاختصار·

وقد أشار المجمع إلى ذلك بقوله : «تلك هي زلات سيديو وهذا تعقيبنا

---

١) عبد المتعال محمد الجبري: السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ص١٠٧

٢) محمد أحمد دياب : أضواء على الاستشراق والمستشرقين (القاهرة - دار المنار للنشر والتوزيع - ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ص ١٧٦-١٧٧

عليها آثرنا فيها الإيجاز المناسب للمقام وللمستزيد الكتب المطولة التى تصدى فيها الإجلاء من علماء المسلمين لتفنيد هذه الشبهات و أمثالها"[1].

ويلاحظ فى هذه الدراسات السابقة أنها لم تقدم نقداً شاملاً لجوانب السيرة النبوية فى كتاب سيديو تاريخ العرب العام أو لأفكار المستشرق عامة حيث إنها اكتفت ببعض التعليقات النقدية البسيطة،أما الدراسات السابقة الأخرى فهي لم تقدم نقداً شاملاً لأنها أعمال لم تعالج المستشرق معالجة خاصه ولكن أشارت إليه ضمن مستشرقين آخرين، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى دراسة مستقلة عن المستشرق وكتابه من أجل الوصول إلى معرفة شاملة لآرائه فى السيرة النبوية تمكن من الحكم العلمي الموضوعي على هذه الآراء.

أما القسم الآخر من الدراسات السابقة فهي عبارة عن ردود هنا وهناك على بعض المستشرقين والذين تناولوا جوانب من السيرة النبوية تناولها سيديو في كتابه فكانت تلك الدراسات رداً على أولئك المستشرقين وليس على سيديو ، ومن بين تلك الدراسات مايلي:

١ - الرسول (ﷺ) فى كتابات المستشرقين - نذير حمدان[2].

٢ - المستشرقون الناطقون بالإنجليزية - د/عبد اللطيف الطيباوي [3].

٣ - المستشرقون والسيرة النبوية - د/عماد الدين خليل [4].

٤ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - محمود حمدي

---

١) سيديو ، تاريخ العرب العام، ط٢، ترجمة عادل زعيتر (عيسى البابي الحلبي وشركاه - ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ص٤٧٤

٢) نذير حمدان:الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين (مكة - رابطة العالم الاسلامي - ١٤٠١هـ)

٣) عبد اللطيف الطيباوي:المستشرقون الناطقون بالإنجليزية (الرياض - طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤١١هـ)

٤) عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة النبوية (الدوحة - دار الثقافه - ١٤١٠هـ)

زقزوق [١]٠

٥ - سيرة الرسول فى تصورات الغربيين - جوستاف بفانمولر- ترجمة: محمود حمدي زقزوق [٢]٠

٥ - منهج البحث:

يتلخص منهج البحث فيما يلى:

١ - عرض آراء المستشرق «سيديو» في مجال السيرة عرضاً موضوعياً يعتمد فيه على كتاب تاريخ العرب العام٠

٢ - مناقشة آراء المستشرق التى تم عرضها في ضوء الرؤية الإسلامية للفترة المدروسة وفى ضوء المصادر الإسلامية ونقد هذه الآراء نقداً علمياً٠

٣ - تتبع الترتيب الزمني للأحداث التى تتم مناقشتها وكذلك الأحداث التاريخية والنظر في سلامة منهجه في ذلك، وكذلك نقد التفسير المادي للأحداث عنده كما تشمل أيضاً الصادر التاريخية التى أعتمد عليها٠

٤ - الرجوع الى المصادر الإسلامية الصحيحة مع التركيز على مصادر السيرة النبوية والرجوع إلى بعض كتابات المستشرقين وردودهم على بعضهم لتدعيم المناقشة والنقد٠

---

[١] محمود حمدى زقزوق:الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ط٢ (بيروت مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ)(كتاب الأمة)

[٢] جوستاف بفانمولر : سيرة الرسول ﷺ في تصورات الغربيين ترجمة: محمود حمدي زقزوق (البحرين – مكتبة ابن تيمية ١٤٠٦هـ)

تمهيد

أ - تعريف بالمستشرق «سيديو» وكتابه : تاريخ العرب العام.

ب - الموقف الاستشراقي العام من السيرة النبوية.

أ - تعريف بالمستشرق «سيديو» وكتابه تاريخ العرب العام:

ل٠أ٠"سيديو" LOUIS AMELIE SEDILLOT مستشرق فرنسي ولد في باريس في ٢٣ يونيو ١٨٠٨م وتوفي ١٨٧٥م وقيل سنة ١٨٧٦م (١) (١٢٢٨هـ-١٢٩٥هـ) وهو الابن الثاني لجان جاك أما نويل سيديو الذي كان مستشرقاً وفلكياً تعلم على يدي أبيه اللغات الشرقية والرياضيات ثم دخل مدرسة ليسيه الرابع الثانويةثم حصل على الليسانس من جامعة باريس ودخل مسابقة التعيين فى وظيفة مدرس تاريخ في المدارس الثانويه وعين في باريس ١٨٣١م٠

وحصل على الليسانس في الحقوق وحضر محاضرات المستشرق الفرنسي سيلفستر دي ساسيSILVESTRE DE SACY (٢) في كلية فرنسا "كوليج دي فرانس" ثم صار سكرتيراً له٠

قام بمتابعة أبحاث أبيه في ميدان تاريخ الفلك والرياضيات عند الشرقيين فأصدر بحثاً في الآلات الفلكية عند العرب ثم قام بنشر أبحاثه في تاريخ الرياضيات والفلك والجغرافيا عند العرب وكان ينشر ثمارها إما في مجموعـــة:

"NOTICES ET EXTRAILS"

التي تصدرها أكاديمية النقوش والآداب أو في المجلة الآسيوية (JA) أو غيرهما وكلها تهدف إلى بيان ماقام به العرب من أبحاث أصيلة فى الرياضيات والفلك والجغرافيا٠

---

١) نجيب العقيقي: المستشرقون ، ط ٤ (القاهرة - دار المعارف) ١٦٩/١

٢) سلفستر دي ساسي: مستشرق فرنسي شهير (١٧٥٨-١٨٣٨) اهتم باللغات السامية واللغة العربية٠ كان مديراً لكلية فرنسا ومدرسة اللغات الشرقية، من كتبه: النحو العربي، تحقيق مقامات الحريري

وفيما يلى قائمة بأهم أبحاث «سيديو»:

١ - أبحاث جديدة في تاريخ العلوم الرياضيه عند الشرقيين (دراسة لعدد كبير من الرسائل التي تؤلف المخطوط رقم ١١٠٤ فى المكتبة الوطنية بباريس سنة ١٨٣٧).

٢ - مقدمة لوحات (**أولج بك**) الفلكية : النص والترجمة والشرح فى مجلدين.

٣ - رسالة إلى السيد (**فون همبولت**) عن أعمال المدرسة العربية سنة ١٨٥٣.

٤ - متن في التقويم العالمي، ويتضمن بحثاً في التقويم العربي ط٦ ١٨٦٥م.

٥ - تاريخ العرب العام، باريس ١٨٥٤ [١].

نبذة عن كتاب : تاريخ العرب العام:

هو من تأليف المستشرق «**ل.أ.سيديو**» كُتب بالفرنسية وتُرجم إلى الإنجليزية والعربية وقد قام بترجمته للعربية علي مبارك باشا سنة ١٣٠٩هـ/١٨٨٩م ثم قام عادل زعيتر بتدارك بعض الأخطاء والنواقص في تلك الترجمة وأعاد ترجمته مرة أخرى حيث صدرت الطبعة الثانية من الترجمة عام ١٣٨٩هـ/١٦٦٩م.

يقول عنه المستشرق «**جوستاف دوغا**»[٢] لم تكن غاية سيديو إصدار كتاب قائم على التحذُق بل أراد رسم صورة حية ساطعة لحركة الإسلام العجيبة في جميع نواحي التاريخ والأدب والفلسفة...فوفق لبعث حضارة غابرة مؤثرة في حضارتنا فأعاد إلى الأمة العربية مكانها...وبهذا الكتاب يحكم في لوْذعية مؤلفة الأدبية فمن النادر أن تجد بين المستشرقين من طرزوا دراساتهم بمثل أسلوبه الصحيح الرائع فالحق أن أسلوب «**تاريخ العرب**» هو مثال الأسلوب

---

١) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ط٢ (بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٩م) ص٢٣٧

٢) غوستاف دوغا هو مستشرق فرنسي ولد سنة ١٨٢٤ وتوفي سنة ١٨٩٤م وكان أستاذاً للعربية في مدرسة اللغات الشرقية وعني بجغرافية العالم الإسلامي فله فيها مباحث مهمة وله تاريخ في فقهاء المسلمين وفلاسفتهم وله كتاب تاريخ المستشرقين

التاريخي ... سيبقى كتاب «تاريخ العرب العام» حياً في ذاكرة الأجيال (١).

ويعرب سيديو في مقدمته عن غايته من تأليف كتابه هذا فيقول : "يظهر أنه قصد نسيان العرب وإنكار ماكان لهم من تأثير في الحضارة الحديثة دام دوام القرون الوسطى...فلقد حل الوقت الذي توجه فيه الأنظار الى تاريخ تلك الأمة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من آسيا...ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد هو محمد فقد ألهم محمد المبادىء اليهودية والنصرانية فأقام ديناً بعيداً من الخوارق" (٢).

ويصفه علي مبارك باشا المشرف على الترجمه الأولى للكتاب فيقول : "ولم أجد من المؤرخين ممن تصدى لتبديد هذه المفتريات سوى العالم «سيديو» أحد مشاهير علماء الفرنج...فقد جمع في عشرين سنة تاريخاً في سفر من مؤلفات من يوثق بهم من العرب والفرنج وبث فيه من الفضيلة المحمدية والمآثر العربية" (٣).

ويقول عادل زعيتر صاحب الترجمة الثانية للكتاب : "فنبحث عن الكتب التي ألفت في اللغتين الفرنسية والإنجليزية فلا نجد بينها ماهو خير من كتاب = تاريخ العرب العام - للعلامة سيديو" (٤).

والكتاب يتألف من سبعة أبواب يتناول فيها المؤلف تاريخ العرب من قبل بعثة النبي الكريم (ﷺ) وحتى زمن عبد القادر الجزائري الذي ظل يقاوم الاستعمار الفرنسي حتى سنة (١٨٤٧م).

وتركزت جوانب السيرة النبوية في هذا الكتاب في الباب الثاني منه:

الباب الأول : جغرافية بلاد العرب - العرب قبل محمد (ﷺ).

الفصل الأول : جغرافية بلاد العرب.

---

١) سيديو : تاريخ العرب العام ترجمة : عادل زعيتر ص٤-٥

٢) المصدر السابق ص ١١-١٣

٣) سيديو : خلاصة تاريخ العرب ، ترجمة : علي مبارك باشا (بيروت -دار الآثار - ١٤٠٠هـ) ص٤

٤) سيديو: تاريخ العرب العام ترجمة : عادل زعيتر ص ٣

الفصل الثاني: العرب قبل محمد (ﷺ)٠

الباب الثاني: محمد (ﷺ)٠

الفصل الأول : حال بلاد العرب وقت ظهور محمد (ﷺ)٠

الفصل الثاني: محمد (ﷺ)٠

الفصل الثالث: القرآن٠

الباب الثالث: العرب بين وفاة محمد واصطراع بني أمية وبني العباس٠

الباب الرابع: عظمة العرب وانحطاطهم في الشرق٠

الباب الخامس: عظمة العرب وانحطاطهم في الغرب٠

الباب السادس: وصف الحضارة العربية٠

الباب السابع: حال العرق العربي الحاضرة٠

ب - الموقف الاستشراقي العام من السيرة النبوية:

شغلت حياة الرسول (ﷺ) وسيرته حيزاً كبيراً جداً في الدراسات الاستشراقية وتكاد لاتخلو أي دراسة عن الإسلام من وصف لجانب من جوانب السيرة النبوية٠

يقول المستشرق جون ديون بورت JOHN D.P في كتابه **اعتذار من محمد والقرآن** : «لاريب أنه لايوجد في الفاتحين والمشرعين والذين سنوا السنن من يعرف الناس حياته وأحواله بأكثر تفصيلاً وأشمل بياناً مما يعرفون من سيرة محمد (ﷺ) وأحواله.»[1]٠

ولقد بدأت الكتابات المبكرة عن رسول الله (ﷺ) متأثرة بروح العداء للإسلام ولنبي الإسلام من قبل اليهود والنصارى وذلك نتيجة لأن جُل من كتب عن

---

1) محمد سرور بن نايف زين العابدين : دراسات في السيرة النبوية، ط٢ (بريطانيا - دار الأرقم - ١٤٠٨/١٩٨٨م) ص(١١١)

الإسلام في تلك الحقبة كان من علماء الديانتين • لذا فقد جاءت كتاباتهم أبعد ماتكون عن الإنصاف ونزاهة البحث العلمي•

يصف د•عماد الدين خليل ذلك بقوله: "بدأ الموقف الغربي من رسول الله (ﷺ) يتشكل في إطار ديني صرف مترع بالتعصب والتشنج والإنفعال مليء بالحقد والغضب والكراهية تحيطه جهالة عمياء متعمدة حيناً وغير متعمدة أحياناً جعلت بين القوم وبين شخصية رسولنا سداً يصعب اختراقه والنتيجة ليست أبحاثاً تاريخية علمية أو موضوعية بحال: إنما ذلك السيل المنهمر من الشتائم والسباب مارسها رجال دين من قلب الكنيسة النصرانية باتجاهاتها كافة"(١)•

ومن أقدم الدراسات عن السيرة النبوية كتاب : محمد الذي ألفه القسيس "اسكندر ديتون" ALEXANDRE D. عام ١٢٥٨م وفي عام ١٤١٧م ألف «ثورميدا» كتابه النبوات الذي يحوي طرفاً يسيراً من السيرة النبوية(٢)•

"ومن الأعمال الاستشراقية في السيرة النبوية قيام المستشرق البريطاني جان غانيه(٣) GAGNIER J. بترجمة السيرة منقولة عن تاريخ أبي الفداء إلى اللاتينية ونشرها في أكسفورد سنة ١٧٢٢م وقام المستشرق الهولندي "دي يونغ" (٤) JONG.P.DE بنشر سيرة ابن هشام مع ترجمة لاتينية في لايدن سنة ١٨٦٥م" (٥)•

---

١) عماد الدين خليل : المستشرقون والسيرة النبوية (الدوحة - دار الثقافة ١٤١٠-١٩٩٠م) ص١٥

٢) نذير حمدان: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين (مكة - رابطة العالم الإسلامي - ١٤٠١هـ) ص١٧-١٩

٣) جان غانيه: مستشرق إنجليزي ولد في باريس (١٦٧٠-١٧٤٠) وتعلم العبرية والعربية من آثاره : حياة محمد

٤) دي يو نغ : مستشرق هولندي (١٨٣٢-١٨٩٠) تخرج من قسم اللغة العربية بجامعة أوترخت من آثاره : فهرس الكتب الشرقية في جامعة ليدن، سيرة الرسول لابن هشام متناً وترجمة

٥) سامي الصقار: (دور المستشرقين في خدمة التراث الاسلامي" المنهل عدد ٥٧١ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)

كما قام المستشرق الهولندي «هادريان ريلا ندوس» RELANDUS[1] ADR. عام ١٧٠٥م بوضع كتاب عن الإسلام دافع فيه بجرأة عن النبي (ﷺ) وأثار الكتاب ردود فعل شديدة من جانب بعض الأوساط الدينية ضد المؤلف مما أدى إلى حجز الكتاب ومنع تداوله[2].

وإذا كانت الكتابات المتقدمة عن الرسول (ﷺ) قد اتسمت بروح العداء والتهجم الظاهر لسيرته (ﷺ) فقد جاءت بعدها كتابات خففت من حدة الهجوم وكانت منصفة في بعض آرائها ومواقفها من السيرة النبوية،بل وصل ببعضهم أن أعلن إسلامه وسوف نعرض لبعض النماذج لآراء كلا الفريقين لعل ذلك يعطي تصوراً أوضح للموقف الاستشراقي العام من السيرة النبوية.

الموقف الإيجابي:

وصف "بارتلي سانت هيلرم" الرسول (ﷺ) كما ذكر نذير حمدان ذلك بأنه «أكثر عرب أهل زمانه ذكاء وأشدهم تديناً وأعظمهم رأفة» ويقول "آرفنج"[3] IRVING عنه: « كان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له، وكان الرسول في كل تصرفاته منكراً ذاته ، رحيماً ، بعيداً عن التفكير في الثراء والمصالح المادية ويقول "دوزي" DOZY[4] : لو صح ماقاله القساوسة من أن محمداً نبي منافق كذاب فكيف نعلل انتصاره؟»[5].

وحول أصل التوحيد يقوم الكونت هنري دي كاستري

---

١) هادريان ريلاندوس: مستشرق هولندي (١٦٧٦ - ١٧١٨) تخرج من جامعة أوترخت وتخصص في الدين الاسلامي وفقه اللغة من آثاره : الإسلام في مجلدين

٢) المصدر السابق ص١٦٤-١٦٥

٣) آرفنج : مستشرق أمريكي ، من آثاره : سيرة النبي العربي ، تاريخ فتح غرناطة

٤) دوزي: مستشرق هولندي (١٨٢٠-١٨٨٣) كان استاذ للعربية في جامعة ليدن يكتب باكثر من ست لغات من أهم آثاره: تاريخ مسلمي اسبانيا، تاريخ بني جيان ملوك تلمسان.

٥) نذير حمدان ص ٢٤-٢٦

H.DE CASTRIES[1] في كتابه الإسلام سوانح وخواطر : «أما فكرة التوحيد فيستحيل أن يكون هذا الإعتقاد وصل الى النبي (ﷺ) من مطالعته التوارة والإنجيل إذ لو قرأ تلك الكتب لريها لإحتوائها على مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته...» [2].

وحول معجزة القرآن البلاغيه تقول الدكتورة/لورا فيشيا فاغليريVECCIA VAGLIERI : [3].

«إن معجزة الإسلام العظمى هي القرآن...إنه كتاب لاسبيل إلى محاكاته...إننا نقع هنا على العمق والعذوبة معاً وهما صفتان لاتجتمعان عادة فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد وهو العربي الأمي..»[4].

وكارلايل [5] CALRLYLE أحد كبار كتاب الإنجليز وقد أثار كتابه **الأبطال** إعجاباً في ميدان الفكر العالمي نقتطف منه مايلى : «من العار أن يصغي أي إنسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين إن دين الإسلام كذب وأن محمداً لم يكن على حق إن الرجل الكاذب لايستطيع أن يبني بيتاً من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس؟» [6].

لقد أدت بعض هذه الكتابات إلى حرمان كنسي وطرد من رحاب المغفرة

---

١) هنري دي كاستري: مستشرق فرنسي (١٨٥٠-١٩٢٧) من آثاره: مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب، رحلة هولندي إلى المغرب.

٢) المصدر السابق ص ٣٥

٣) فيشا فاغليري : مستشرقة إيطالية اهتمت بالتاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً، وفقه اللغة العربيه وآدابها، من آثارها : رحلة حاج عبر ليبيا في القرن السابع عشر، قواعد العربية، الدفاع عن الاسلام

٤) المصدر السابق ص ٣٦-٣٧

٥) كارلايل : متشرق بيريطاني (١٧٩٥-١٨٨١) من آثاره : الأبطال وقد عقد فيه فصلا عن النبي محمد ﷺ

٦) عبد الحليم محمود : أوربا والاسلام (القاهره - دار المعارف) ص ٦١

الكهنوتية وإلى تضييق على أصحابها ومنع تلك المؤلفات من التداول وإتهامها بالزندقة والخروج على تعاليم الكنيسة.

الموقف السلبي:

يطول بنا المقام لو أردنا أن نستعرض تلك الكتابات الاستشراقية في السيرة النبوية والتي هي أقرب إلى أسلوب السباب والشتائم وأبعد ماتكون عن منهج البحث العلمي وسنكتفي هنا ببعض الشواهد التي توضح الموقف السلبي للمستشرقين من سيرة نبينا محمد (ﷺ).

كتب المستشرق الفرنسي (كيون).KUHN.E [1] في كتابه **باثولوجيا الإسلام** يقول:

«إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً بل هي مرض مريع وشلل عام... وماقبر محمد إلا عمود كهرباء يبعث الجنون في رؤوس المسلمين» [2].

ويقول (سنوك هيرغرونيه) SNOUCK HVRGRONJE [3]: « يجب أن نقرر أن قيمة محمد منحصرة في سائر مايميزه عن جميع الهستيريين» [4] ويقول مارجليوث MARGOLIOUTH « إن الباعث على رسالة هذا الرسول هي الشعوذة لا أكثر ولا أقل» [5] وسخر دانتي في الإنشودة ٢٨ من الكوميديا الإلهية التي أسماها (**الجحيم**) من عقائد المسلمين .. حين صور الرسول (ﷺ) في الدائرة الثامنة من دوائر الجحيم» [6].

وهذا المونسينور كولي في كتابه **البحث عن الدين الحق** يصور

---

١) كيون : مستشرق الماني من آثاره : الدراسات الشرقية لنولدكه، الدراسات الشرقية في اوربا

٢) محمد سرور زين العابدين : دراسات في السيرة النبوية ص١٢٣

٣) سنوك هيرغرونيه : مستشرق هولندي (١٨٥٧-١٩٣٦) تعلم على دي جويه ونولدكه، زار مكة متسمياً باسم عبد الغفار عام (١٨٨٤م)، اجاد العربية واهتم بالدراسات الفقهية . من آثاره : الحج إلى مكة، الفقه الإسلامي، امثال أهل مكة متنا وترجمة

٤) المصدر السابق ص ١٢٣

٥) المصدر السابق ص ١٢٣

٦) المصدر السابق ص١٢٣

الإسلام على هذا النحو : برز في الشرق عدو جديد ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب .. لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب»(١) ويصفه أديسون ADDISSON بقوله : «محمد لم يفهم النصرانية ولذلك لم يكن في خياله منها إلا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذي جاء به للعرب» (٢).

جاء فى كتاب تقدم التبشير العالمي الذي ألفه د. غلودر:-«إن سيف محمد والقرآن أشد عدو وأكبر معاند للحضارة والحرية والحق ومن بين العوامل الهدامة التي اطلع عليها العالم إلى الآن» (٣).

ويعتقد سفاري الذي ترجم القرآن سنة ١٧٥٢م أن محمداً قد لجأ إلى السلطة الإلهية لكي يدفع الناس إلى قبول هذه العقيدة ومن هنا طالب بالإيمان به كرسول لله وقد كان هذا اعتقاداً مزيفاً أملته الحاجة العقلية» (٤).

وحول موقفهم من الوحي فمنهم من يرجع ذلك - أي الوحي - إلى صرع كان ينتاب النبي (ﷺ) حيناً بعد حين ومنهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهنه ومنهم من يفسرها بمرض نفسي وهكذا كأن الله لم يرسل نبياً قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي» (٥).

وهذا المستشرق مارجليوث MARGOLIOUTH أراد أن يأتي ببدع من القول يتناسب مع القرن العشرين فرأى أن الباعث على بعثة الرسول (ﷺ) إنما هي أعمال الشعوذة - حاشاه الله من ذلك - ويؤكد هذا الافتراء بقوله : «

---

١) محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ط٦ (دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٧٣) ص٥٢٨
٢) المصدر السابق: ص ٥٢٩
٣) عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة.. ص ١٦
٤) المصدر السابق ص ١٧
٥) مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم ط٣ (المكتب الإسلامي ١٤٠٥/١٩٨٥م) ص٢٠

لقد عرف محمد خدع الحواة وحيل الروحانيين ومارسها في دقة ولباقة وقد كان يعقد في دار الأرقم جلسات روحانية وكان المحيطون به يؤلفون جمعية سرية تشبه الماسونية ولهم شعارات تعارف مثل «السلام عليكم» وعلامات يتميزون بها كإرسال طرف العمامة بين الكتفين»[1].

إن فيما مر مايكفي لتصوير حالة المستشرقين تجاه السيرة النبوية وهو بحق يصور المدى الذي وصل إليه المستشرقون في تخبطهم واضطرابهم وتعصبهم ومن المستحسن قبل أن نختم الحديث هنا أن نلقي الضوء على بعض مناهج المستشرقين في تناولهم لأحداث السيرة النبوية.

من مناهج المستشرقين في دراسة السيرة النبوية:

يجب أن نلاحظ أن الفهم الجاد للسيرة يقتضي منهجاً يقوم على شروط ثلاثة:

الأول: الايمان أوعلى الأقل احترام المصدر الغيبي لرسالة محمد (ﷺ).

وأما الثاني : اعتماد موقف موضوعي بغير حكم سبق يتجاوز كل الإسقاطات التي من شأنها أن تعرقل عملية الفهم.

وأما الثالث : فهي تقنية صرفة تقوم على ضرورة الإحاطة جيداً بأدوات البحث التاريخي وإذا كان الغربيون قد بلغوا حدّ التمكن في الدائرة الأخيرة فإنهم لم يستطيعوا أن يقدموا أعمالاً علمية بمعنى الكلمة لموافقة السيرة ولاقدروا حتى على الإقتراب من حافة الفهم بسبب أنه كان يعوزهم التعامل الأكثر علمية مع الدائرتين الأوليتين[2].

ويستطيع الدارس لكتابات المستشرقين أن يضع يديه على عدد من الأخطاء والثغرات المنهجية في تلك البحوث والدراسات والتي منها مايلي:

---

1) عبد الحليم محمود: مصدر سبق ذكره ص١٢٣

2) عماد الدين خليل ص ٧-٨

١) المبالغة في الشك والافتراض والنفي الكيفي واعتماد الضعيف الشاذ:

يكاد يكون هذا الملمح الأساسي في مناهج المستشرقين قاسماً مشتركاً بينهم يقول د.جواد علي "لقد غالوا في كتاباتهم في السيرة النبوية وأجهدوا أنفسهم في إثارة الشكوك في وقائعها وقد أثاروا الشك حتى في اسم الرسول (ﷺ) ولو تمكنوا أثاروا الشك حتى في وجوده"(١) ويشير درمنغهم (٢). DERMENGHEM,E إلى هذه المسألة فيقول : "من المؤسف حقاً أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين .. في النقد أحياناً فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص ولاتزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة ولن تقوم سيرة على النفي" (٣).

٢) إسقاط الرؤية العقلية المعاصرة على السيرة:

إن من المتعذر بل من المستحيل كما يؤكد "أتين دينيه" DINET, ET (٤) أن يتحرر المستشرقون عن عواطفهم وبيئتهم ونزعاتهم المختلفة وأنهم لذلك قد بلغ تحريفهم لسيرة النبي(ﷺ) والصحابة مبلغاً يغشى على صورتها الحقيقية من شدة التحريف فيها وبالرغم مايزعمون من اتباعهم لأساليب النقد العلمي فإنا نجد من خلال كتاباتهم محمداً يتحدث بلهجة ألمانية إذا كان المؤلف ألمانياً وبلهجة إيطالية إذا كان الكاتب إيطالياً وهكذا تتغير صورة محمد بتغير جنسية الكاتب وإذا بحثنا في هذه السيرة عن الصورة الصحيحة فإنا لانكاد نجد لها من أثر" (٥).

---

١) المصدر السابق ص٢٠

٢) إميل درمنغهم: مستشرق فرنسي، عمل مديراً لمكتبة الجزائر من آثاره : حياة محمد ، محمد والسنة الاسلامية

٣) أميل درمنغهم : حياة محمد ط٣، ترجمة: عادل زعيتر (القاهرة - دار إحياء الكتب العربية - ١٩٤٩م) ص ٨-١١

٤) أتين دينيه : مستشرق فرنسي (١٨٦١-١٩٢٩) قصد الجزائر وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين من آثاره : محمد في السيرة النبوية، حياة العرب، حياة الصحراء

فإننا لانكاد نجد لها من أثر»[1]٠

(٣) إثبات الفكرة مسبقاً ثم البحث عن مايدعمها من أدلة:

ومن مناهج المستشرقين أيضاً أنهم يبيتون فكرة مسبقة ثم يجيئون إلى وقائع التاريخ لكي يستلوا منها مايؤيد فكرتهم ويستبعدون مادون ذلك ويشير د/جواد علي إلى هذا المنهج عن كيتاني فيقول «كان كيتاني ذا رأي وفكرة وضع رأيه وكونه في السيرة قبل الشروع في تدوينها فإذا شرع بها استعان بكل خبر من الأخبار ظفر به ضعيفها وقويها وتمسك بها كلها ولاسيما مايلائم رأيه ولم يبال بالخبر الضعيف بل قواه وسنَده وعدّه حجة وبنى حكمه عليه»[2]٠

(٤) رد معطيات السيرة إلى أصول نصرانية أو يهودية:

إن هذا التصور يكاد يأخذ برقاب المستشرقين ويضع بصماته العميقة على مناهجهم في التعامل مع دقائق السيرة وظاهرة النبوة وسيأتي مناقشتها في البحث٠

(٥) التعاطف مع العناصر والقوى المضادة للإسلام:

نقرأ لدى بروكلمان BROCKELMMANN : «لم يطل العهد بمحمد حتى شجر النزاع بينه وبين أحبار اليهود فالواقع أنهم على الرغم مما تم لهم من علم هزيل في تلك البقعه النائية كانوا يفوقون النبي الأمي في المعلومات الوضعيه وفي حدة الإدراك»[3]٠

(٦) التفسير المادي للتاريخ:

مع بداية القرن ونجاح الثورة البلشفية في روسيا بدأ يطل موقف جديد إزاء رسولنا (ﷺ) وتاريخنا الإسلامي بعامة ينبثق عن التفسير المادي للتاريخ

---

١) عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة ص ٢٢

٢) المصدر السابق: ص ٢٣

٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ط ١٢، ترجمة : نبيه أمين فارس و منير البعلبكي (بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٨٤) ص ٤٧

لقد رأى بعضهم أن المجتمع العربي **(في مكة والمدينة)** شهد بداية تكوين مجتمع الرقيق بينما ترى (بيجولفسكايا) PIGOULEVSKAYA,N.V. (١) أن القرآن يُشعر بتركيز ملكية الرقيق وتذهب مع **(بلاديف)** إلى أن المرحلة الإقطاعية هي من آثار اتصال العرب بالشعوب الأخرى (٢).

(٧) التفسير الاجتماعي للسيرة النبوية:

يقول المستشرق بندلي جوزي : لاشك أن النبي العربي لم يقصد بأقواله وأفعاله في مكة والمدينة إلا أن يستأصل أسباب الشرر الاجتماعي ويقتل جميع جرائمه كما يحاول أن يفعل اليوم جماعة الاشتراكيين على اختلاف أسمائهم ونزعاتهم..وما مثل النبي من هذا الوجه إلا مثل الأنبياء الذين سبقوه أي أنه فضل استعمال الوسائل الأدبية .. على غيرها من الطرق التي لجأ إليها في عصرنا بعض مصلحي وسياسي أوربا كلينين وموسيليني وغيرهما وعليه يمكننا أن نقول إن محمداً أجاد في وصف الأمراض الإجتماعية العربية وتعدادها أكثر منه في علاجها واستئصال جراثيمها" (٣).

(٨) القول بالنمو التدريجي للدين:

يشير د/عماد الدين خليل في نقده لمنهج المستشرق «**وات** » WATT إلى هذا المنهج بقوله:

"و"وات" WATT أسوة بجل الباحثين الغربيين يأخذ بالمفهوم الغربي الحديث للنمو التدريجي للأديان أي أن الرسول أو النبي يعمل وفق المقتضيات المرحلية لكل مرحلة تاريخية...ومن ثم فهو لايملك -ابتداء- رؤية شمولية عن أبعاد دوره كنبي وعن الملامح النهائية للعقيدة التي جاء لكي يبشر

---

١) بيجولفسكايا : مستشرقة روسية (١٨٩٤-١٩٧٠) اهتمت بتاريخ العرب قبيل الإسلام معتمدة على المصادر السريانية، من آثارها : الإقطاع في الشرق، أوربا والإسلام

٢) عماد الدين خليل : المستشرقون والسيرة ..ص ٣٢

٣) المصدر السابق: ص ٣٥

بها» [1].

كمثال على ذلك نجد كثيراً من المستشرقين يقول بأن عالمية الرسالة التي جاء بها الرسول (ﷺ) لم تكن واضحة له أو حتى لم تكن في خلده (ﷺ) ولم تتضح هذه الملامح وهذه الأبعاد لدعوته -حسب زعمهم- إلا في المدينة حيث انتقلت الرسالة كا يدعون - من الإطار الإقليمي الخاص بالعرب إلى الإطار العالمي وهو تطور في نظرهم.

---

1) المصدر السابق: ص ٧١

الفصل الأول
شخصية الرسول (ﷺ) عند سيديو
(عرض ومناقشة)

المبحث الأول:

شخصية الرسول (ﷺ) وحياته الخاصة

المبحث الثاني:

محمد (ﷺ) والسياسة والزعامة

المبحث الثالث:

علاقته (ﷺ) بأصحابه

المبحث الرابع:

علاقته (ﷺ) باليهود

المبحث الأول :

شخصية الرسول (ﷺ) وحياته الخاصة:



تناول سيديو شخصية الرسول (ﷺ) بطريقتين :

الأولى: فيها إبراز لبعض صفاته الشخصية والخلقية.

الثانية: فيها تهجم وافتراء وبث للشبهات.

فأما الطريقة الأولى:

فهو يقول في عدله "ومن يجهل أنه لم يعدل إلى آخر عمره" (١).

وفي تواضعه وحلمه يقول " وهو لم ينتحل أوضاع الأمراء قط .. وكان محمد حليماً معتدلاً وكان يأتي بالفقراء الى بيته ليقاسمهم طعامه" (٢).

وفي بشاشته ولين جانبه يقول "فيسحر... بما يعلو وجهه الرزين الزاهر من البشاشة". "وكان لايضجر من طول الحديث وكان لايتكلم إلا قليلا" "وكان يوحي في كل مرة بإحترام القوم له" (٣).

وكان محمد متصفاً بالأنس واللطف فاستوجب محبة الجميع. (٤).

وعن أمانته "ولقب محمد بالأمين في الخامسة والعشرين من سنه لأمانته وحسن سلوكه" (٥).

الطريقة الثانيه: الشبهات:

فيما يلي أبرز الشبهات حول شخصية الرسول (ﷺ) بثها سيديو في ثنايا بحثه عن السيرة النبوية:

(أ) شبهة غموض حياة الرسول (ﷺ) الأولى:

يقول سيديو "كانت سنوات محمد الأولى غامضه" (٦).

ولا ندري أين مواضع الغموض التي يتحدث عنها سيديو؟.

---

١) ص ٩٠

٢) ص٩٠

٣) ص٩٠

٤) ص٥٨

٥) ص٥٨

٦) ص٥٨

بالإضافة إلى أنه لايسوق دليلاً على رأيه الآنف • ويبدو أن هذا الرأي قد قال به أكثر من واحد من المستشرقين فهذا "ول ديورانت" W.DURANT (١) يقول: "ولانكاد نعرف عن شباب محمد إلا القليل" (٢)•

ويذهب بروكلمان BROCKELMMANN إلى أنه لايوجد مصادر موثوقة لحياة الرسول(ﷺ) الأولى غير ماورد في سورة الضحى إذ يقول: "ولسنا نملك بينة موثوقاً بها عن حياة النبي الأولى إلا هذه الآيات القرآنية من سورة الضحى" (٣)•

رد الشبهة:

إن الواقع التاريخي يبين تهافت هذه الفرية وسقوطها إذ إن الناظر في المكتبة الإسلامية يجد أن ماكتب عن رسول الله (ﷺ) قد أخذ نصيب الأسد ولو أريد جمع ذلك التراث منذ صدر الإسلام الأول وإلى الآن لكان من الصعب إن لم نقل من المستحيل خاصة إذا استعرضنا ماكتب عن رسول الله (ﷺ) باللغات الأخرى غير العربية وما أكثرها•

أي غموض يقصده المستشرق سيديو عن شخص معروف نسبه ومكان وتاريخ ولادته ورضاعه وطفولته وكفالته وشبابه بل إننا نكاد نجزم أنه لم يتهيأ لشخصية في التاريخ من الرصد والوضوح ماتهيأ لنبينا محمد (ﷺ)•

كتب (جون ديون بورت) JOHN D.P. سنة ١٨٧٠م/١٢٩٠هـ كتاباً بالإنجليزية (٤) في السيرة المحمدية يقول في مقدمته : "لاريب أنه لايوجد في الفاتحين والمشرعين والذين سنوا السنن من يعرف الناس حياته وأحواله بأكثر تفصيلاً وأشمل بياناً مما يعرفون من سيرة محمد (ﷺ) وأحواله (٥)•

وإن الباحث التاريخي والقارىء المنصف ليجد أن جُلّ كتب التاريخ قد عقدت فصولا وأبواب وأحيانا أجزاء كاملة للسيرة النبوية فهذا الحافظ ابن

---

١) ول ديورانت : مؤلف أمريكي معاصر، يُعد كتابه قصة الحضارة ذو الثلاثين مجلداً، واحداً من أشهر الكتب التي تؤرخ للحضارة البشرية ،ومن آثاره أيضاً: قصة الفلسفة

٢) ول ديورانت :قصة الحضارة ط٤ ترجمة د•نجيب محمود (القاهرة -مطابع الحجوي-١٩٧٣) ص١٣/٢٢

٣) كارل بروكلمان :تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٣٣

٤) بعنوان : إعتذار عن محمد والقرآن

٥) محمد سرور زين العابدين: دراسات في السيرة النبوية ص١١١

كثير يعقد في تاريخه البداية والنهاية أربعة أجزاء في مجلدين لأحداث السيرة النبوية وقد سبق إلى ذلك كلاً من الطبري وابن الأثير في تاريخهما وكذلك الحال بالنسبة لكتب السنة عقدت فصولا وأجزاء في أحداث السيرة النبوية هذا بالإضافة إلى كتب السيرة المتخصصة كسيرة ابن هشام ومغازي الواقدي وغيرها.

ويظهر تساؤل هنا لِمَ يحرص سيديو وغيره من المستشرقين على وصف حياة الرسول الأولى بالغموض؟ مع تيقنهم بأن الحق خلاف ذلك، لِمَ حرص سيديو وغيره على التجهيل بحياة الرسول على مافيها من وضوح إلا لأن إثارة مثل هذه الشبهة يهيىء الفرصة للتخمين والافتراض عند تناولهم لشخص الرسول (ﷺ) وهو ماعبر عنه المستشرق "واط" WATT عندما قال : "كانت السنوات التي تلت زواجه سنوات إعداد لعمله في المستقبل لم يحفظ لنا شيء عنها يسمح لنا بإعادة تكوين مراحل هذا الاستعداد وأفضل مانفعل هو أن نقوم ببعض الاستنتاجات مما وصلنا فيما بعد لهذه الآيات من سورة الضحى" (١).

(ب) فرية على شخص الرسول (ﷺ):

يقول "سيديو": وتراقب جميع أعماله فما ينبغي أن يكون في حياته العامة التي يفسرها كل الناس ثغرة تناقض فيكفي لأن يعرض عنه إلى الأبد أولئك الذين لايزالون يترددون في عده إنساناً يعلو البشر إذا ماوجدوا مثل ذلك التناقض مع إعجابهم بثبات جاشه،ولم تكن حياته الخاصة لتخفى على أحد فلم يلبث أن كشف مافيه من ضعف" (٢).

رد الشبهة:

إن المنهج العلمي في البحث يلزم المستشرق بأن يُدلل على مايقول ولانطلب منه غير دليل واحد فقط ولكنه لن يجد مهما حاول من طي أعناق النصوص لأن سيرة نبينا (ﷺ) أنصع وأنقى سيرة عرفتها البشرية كيف لا وهو

---

١) مونتغمري وات : محمد في مكة ،ترجمة : شعبان بركات (بيروت - المكتبة العصرية) ص٧٥

٢) ص ٦٥

القائل عنه ربه «**ومَاينطقُ عَنِ الهَوَى**» (١)وقالت عنه زوجته عائشة رضي الله عنها «كان خلقه القرآن» (٢)، وعن أنس رضي الله عنه قال: "كان النبي (ﷺ) أحسن الناس خلقاً..." الحديث (٣).

كما أن المستشرق يناقض نفسه حين يقول : "فما ينبغي أن يكون في حياته العامة التي يفرسها كل الناس ثغرة تناقض فيكفي لأن يعرض عنه إلى الأبد".

وقوله: "ولم تكن حياته الخاصة لتخفى على أحد فلم يلبث أن كشف مافيه ضعف فإن كان الأمر كما قال وأن حياته الخاصة لايخفى على أحد مافيها ضعف فيكون لزاماً أن يُعرض عنه إلى الأبد كما قال "سيديو".

إلا أن التاريخ يثبت عكس ذلك فالناس قد دخلوا في دين الله أفواجاً ويذكرنا سيديو هنا بموقف الكتاب الغربيين في العصور الوسطى من الإسلام ونبي الإسلام إذ لايعنيهم الاعتماد على مصدر علمي يستقون منه معلوماتهم عن الإسلام ونبي الإسلام فلا يضيرهم أن يختلقوا من بنات عقولهم وخيالاتهم كل افتراء وبهتان طالما أنه موجه لرسول الله (ﷺ).

وهذا مايؤكده المؤرخ «**جلبرت**» JALA BERT,P.H. "إذ يعترف في كتابه عن النبي محمد (ﷺ) أنه ليست لديه مصادر عربية ولكنه يقرر أنه لاخوف من الكلام عن رجل تفوق شروره أي ظلم يمكن أن نظلمه به" (٤).

(ج) زعمه القنوط في حياة محمد(ﷺ):

يصف سيديو مضايقة قريش لرسول الله (ﷺ) فيقول : فكانت كلما طاف حول الكعبة أسمعته مافيه إهانته ومافيه تهديده" ثم يضيف قائلاً "ويدخل محمد ذات يوم بيته قانطاً" (٥) وتباعاً للمنهج الذي يسير عليه سيديو فهو يرمي بالفريه

---

١) النجم:٣

٢) مسلم: صحيح مسلم تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) ١/٥١٢-٥١٣

٣) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ط٤ تحقيق : محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة - المكتبة السلفية - ١٤٠٨هـ) ١٠/٥٩٨

٤) أحمد عبد الحميد غراب: أضواء على الاستشراق والمستشرقين (القاهرة ١٤١٠هـ) ص ٨

٥) ص ٦١

أو الشبهه ولايُقيم لها الدليل العلمي الذي يسندها.

ولاندري كيف يكون يائساً وقانطاً من تحمل الشدة وصبر على اللأواء وأصر على متابعة الطريق رغم مشقته ووعورته ألم تحفظ كتب التاريخ وتروي كتب السيرة مقولته لعمه عندما ظن أنه خاذله، عندما جاءه قائلاً لاتحملني مالا أطيق..

قال : «ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه» (1).

إن رسول الله (ﷺ) لم يعرف القنوط أو اليأس في حياته فهو قد نشأ تحرسه رعاية الله ومنه يستمد العون والنصرة وقد ضرب لنا رسول الله أروع الأمثلة في الصبر عند الشدائد ولكن المستشرقين يغمضون أعينهم عنها جهلاً أو تجاهلاً.

وقد حفظت لنا كتب السنة كيف كان عظيم يقينه (ﷺ) بربه وصدق وعده له فعن أبي عبد الله خباب بن الأرت رضي الله عنه قال : شكونا الى رسول الله (ﷺ) وهو متوسد بردة له في ظل الكعبه، فقلنا : ألا تستنصرنا الا تدعولنا؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ...إلى أن قال : «والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» رواه البخاري (2).

(د) قدارت الرسول ﷺ في نظر سيديو:

ما أهم قدرات الرسول (ﷺ) في نظر سيديو وأهم مايميزه عن غيره من مزايا؟ هو ماينص عليه في قوله: «وكل مايميز به هو أنه نال في أثناء رحلاته تجربة فريدة ومعرفة ممتازه لطبيعة الإنسان يقدر بها على تقدير قيمة الرجل

---

1) ابن هشام :السيرة النبويه (بيروت - دار العلم) ٢٨٥/١ وكذلك الذهبي: السيرة النبويه ط١، تحقيق حسام الدين القدسي (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤٠١هـ)ص٨٥

2) ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٢٣٠/١٢

الأدبية من فوره»[1].

ولا ندري لماذا يهمل سيديو غيرها من المزايا الحقيقية التي يمتاز بها رسولنا الكريم (ﷺ) كالشجاعة وحسن الخلق والكرم ولين الجانب والحلم وغيرها.

ومنهج الإنتقاء في عرض بعض جوانب التاريخ الإسلامي وإهمال أو إغفال غيرها مما قد يكون هو أهمّ منهج قد دأب عليه كثير من المستشرقين ومن بينهم سيديو فتجدهم ينتقون من حوادث التاريخ الإسلامي مايؤيد وجهات نظرهم ويتجاهلون غيرها،أو تراهم يركزون على حادثة قد تكون صحيحة تاريخياً إلا أن هناك ماهو أهم منها وأجدر بإلقاء الضوء عليه فيهملونها لحاجة في نفوسهم.

---

(1) ص٥٩

المبحث الثاني :

محمد (ﷺ) والسياسة والزعامة:

أولا : تطلع العرب إلى الوحدة:

بين أيدينا نصوص عديدة تحاول أن تصور لنا أن للعرب تطلع قديم للوحدة وأنهم كانوا ينتظرون نهوض القومية العربية وأن النفوس كانت تميل إلى الوحدة كما أنها تبين لنا عوامل تحفز العرب للوحدة العربية كما توضح لنا كذلك شروط تلك الوحدة.

يقول «سيديو»: «كان كل إنسان في جزيرة العرب مستعداً لأكبر الانقلابات» (١)

ويقول : «وهناك عوامل كثيرة كانت تحفز القوم إلى الوحدة العربية وهي : اتحاد الأصل ، وحدة الطبائع والعادات» (٢).

ويقول : «وليس من الصعب أن نبصر أن تلك النفوس الفائرة المخاطرة إذا ماتوجهت إلى غرض واحد صالت صولة لاتقاوم وكان لابد من توفر شرطين للوصول إلى مثل هذه النتيجة وهما وحدة اللغة ووحدة الدين» (٣).

وقال : « وبينما كانت أقاصيص الشعراء تطبع اللغة العربية بطابع الوحدة كان ينضج في النفوس ما يؤدي إلى نهوض القومية العربية على أساس متين فالناس عادوا لايؤمنون بالأصنام التي قامت عبادتها مقام عبادة الله منذ البداءة وأخذ الشعور الديني يطفح من كل ناحية » (٤).

وقال : « فإذا مابدت الوحدة الدينية مفقودة بعدُ، كانت المعتقدات الدينية تتداعى في كل ناحية » (٥).

وقال : «بينما كانت النفوس تميل إلى الوحدة في الداخل ميلاً عاماً كان استقلال العرب يتم بفضل مايقع بين الروم والفرس من حروب طاحنة» (٦).

---

(١) ص ٥٥
(٢) ص ٤٥
(٣) ص ٤٦
(٤) ص ٤٩
(٥) ص ٥٦
(٦) ص ٥٦

وقال : « فالعرب كانوا يشعرون بضرورة الاتحاد وكان من نتائج الحوادث الأخيرة أن أخذت المبادىء القومية تنمو فيهم إلى أبعد حد »(١).

رد الشبهة:

خلاصة النصوص السابقة أن النفوس في الجزيرة العربية كانت متهيأة للوحدة ومتطلعة للنهضة القومية، والناظر في المصادر التاريخية المختلفة يكاد لايجد مايدعم هذه الفكرة التي يحاول سيديو بثها لقراءه من خلال تكرارها في عدد من النصوص.

ولنا أن نتسائل لماذا يحاول سيديو إثبات هذا الرأي في ثنايا بحثه؟ إن سيديو يحاول أن يُلبس أحداث السيرة النبوية والفترة التي تسبقها مباشرة بمصطلحات معاصرة وبمفاهيم حديثة غريبة على تلك الحقبة من الزمن، فالقومية العربية فكرة حديثة نشأت إبان سقوط الخلافة العثمانية وهي صنيعة الاستعمار ولا علاقة لها بأحداث السيرة النبوية، ولاغرابة أن يجد دعاة القومية العربية في هذا الموقف من سيديو التأييد لهم في مبدأهم إذْ وجدوا من يُرجع لهم أساس الفكرة إلى ماقبل الإسلام.

وسيديو عندما يقول بأن النفوس كانت متهيأة للوحدة فإننا نفهم أنها لولم تجتمع على محمد لأمكن لها أن تجتمع على غيره وهو بذلك يحاول أن يسلب صفة النبوة من نبينا محمد (ﷺ) ويلبسه صفة الحاكم أو رئيس الدولة أو طالب الحكم.

أمر آخر إن سيديو عندما يجتهد في جمع ذلك العدد من النصوص والاستشهادات لإقرار ذلك الرأي فإنه يحاول أن يمهد الطريق لبث شبهة أخرى وبهذه الطريقة تكون الشبهة أدعى للقبول والثبات عند القاريء.

هذه الشبهة هي وصفه للرسول (ﷺ) بالزعيم السياسي الباحث عن المجد والزعامة وهي ماسنحاول عرضها ومناقشتها.

ثانيا : محمد (ﷺ) و السياسة و الزعامة:

يقول سيديو: « واجتهد محمد ليكون محترماً لدى من يحيطون به كأحسن

---

١) ص ٥٥

ناصح و أليق زعيم»[1].

« وكانت مقادير وطنه تضطرب في نفسه فيود لو يهب له قوة وعظمة »[2].

« وهو إذا كان يتمنى لوطنه نظاماً غير الذي يحيق به كان يسأل في نفسه كيف يستطيع أن ينقذ النفوس مما هي غائصة فيه من الهمجية »[3].

« فكان يجب أن يؤثر في قريش ومكة إذا ما أريد إقامة دين وطني واحد في جزيرة العرب فهذا ما أدركه محمد تماماً »[4].

« فهو قد أبصر حلول الزمن الذي يجمع فيه مختلف قبائل جزيرة العرب في أمة واحدة وذلك ضمن شريعة دينية مدنية حربية »[5].

« ويجمع في يديه أمور السلطتين الدينية والمدنية، وهو لم يترك فرصة من غير أن يعلن عظمة مصيره »[6].

مما سبق من نصوص يحاول سيديو أن يصف لنا الرسول (ﷺ) بأنه طالب للملك، باحث عن الزعامة والمجد لايتورع في سلوك أي طريق يوصله إلى غايته السياسية.

ويكفي رداً عليه الحوار الذي أورده ابن هشام في سيرته بين عتبة بن ربيعة ورسول الله (ﷺ) يقول ابن هشام: « حُدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيداً قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله (ﷺ) جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله (ﷺ) يزيدون ويكثرون فقالوا : بلى يا أبا الوليدقم إليه فكلمه. فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله (ﷺ) فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم

---

1) ص ٥٨
2) ص ٥٩
3) ص ٥٩
4) ص ٥١
5) ص ٧٤
6) ص ٧٠

فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال رسول الله (ﷺ): « قل يا أبا الوليد اسمع »، قال : يابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لانقطع أمراً دونك وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا..

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله (ﷺ) يستمع منه قال : أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم . قال فاسمع مني قال : أفعل ، فقال: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حمـ . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون...﴾ إلخ الآيات، ثم مضى رسول الله (ﷺ) فيها يقرؤها عليه فقام ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك . فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا : ماوراءك يا أبا الوليد؟ قال : ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط، إلى أن قال أطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال:هذا رأيي فيه فاصنعوا مابدا لكم (١).

ولاننسى في هذا الخصوص مقولته عليه الصلاة والسلام لعمه أبي طالب عندما ظن أنه سيسلمه لقريش ويتخلى عنه حيث قال:

ياعمّ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر (٢)حتى يظهره الله أو أهلك فيه،ماتركته» (٣).

فهل يصح بعد هذا من سيديو أن يصف الرسول بأنه طالب ملك ذو طموحات سياسية.

---

١) عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام - ط١٠ (بيروت مؤسسة الرسالة، (الكويت -دار البحوث العلمية- ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ص ٦٣-٦٤

٢) الأمر هو دين الله الاسلام وليس كما وضعه سيديو طلب الزعامة والملك

٣) المصدر السابق ص٥٨

المبحث الثالث :

موقف سيديو من علاقة الرسول (ﷺ) بأصحابه:

يقول سيديو : « قضى محمد عاماً بين تلك التجاريب فلما انقضى أدرك أن دينه ينهار إذ ما تبددت حرارة أصحابه بسبب البطالة وكانت الحرب أفضل وسيلة لإمداد نار الحماسة التي أوقدها» (١) ويقول أيضا: « وكان أصحابه يطيعونه بخضوع واحترام من غير أن يكونوا أداة صماء بيده ودليل ذلك مارواه أبو الفداء الذي هو أفضل مترجميه عما حدث قبيل وفاته • فقد كان المرض الذي يقوده إلى القبر بالغاً دوره الأخير فصرخ قائلاً : « ايتوني بدواة وصحيفة أكتب كتاباً لاتضلوا بعده أبداً » فيتردد الحضور ولايبدون حراكاً بدلاً من إجابته إلى طلبه فلما شاهد محمد سوء إطاعتهم أمرهم بالانصراف راجعاً عما اعتزمه فمن كان من أولئك يُفكر في رد طلبه لو رأى سلطان النبي إلهياً في الحقيقة؟ وهل كان أولئك يمنعونه من تدوين وصيته؟ كلا » (٢)•

في هذين القولين لسيديو العديد من الشبهات وما يهمنا منها هو مايتعلق بموقفه من العلاقه بين الرسول (ﷺ) وأصحابه رضوان الله عليهم وما عداه سوف نرجئه إلى مباحث قادمة من هذا البحث إن شاء الله•

رد الشبهة:

في عبارته الأولى : يقول « أدرك أن دينه ينهار إذا ماتبددت حرارة أصحابه بسبب البطاله•••» ولنا أن نتساءل أي بطالة تلك التي يتحدث عنها سيديو في ذلك العصر الأول من عهد الرساله؟ إن سيديو هنا يُسقط الرؤية العقليه المعاصره على أحداث السيرة النبوية وهذا خلل منهجي يقول عنه عماد الدين خليل «هو أشبه بالحتميه التي لافكاك منها للبحث الغربي وهو القاسم المشترك الأعظم لجل الأبحاث والدراسات التي قدموها عن سيرة الرسول

---

١) ص ٦٥-٦٦

٢) ص ٧٥-٧٦

(ﷺ)»(1)٠

وفي عبارته الثانية يزعم أن الصحابه كانوا يطيعون الرسول (ﷺ) ولكنها ليست طاعة كاملة « وكان أصحابه يطيعونه بخضوع وإحترام دون أن يكونوا أداة صماء بيده »(2)٠ ثم يأتي سيديو بنص حديث « ايتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده أبداً » (3) كشاهد يزعم فيه سوء طاعة الصحابه لرسول الله (ﷺ) إذ يقول:

« فيتردد الحضور ولايبدون حراكاً بدلاً من اجابته إلى طلبه فلما شاهد محمد سوء إطاعتهم أمرهم بالإنصراف »(4)٠

سيديو لايستشهد بهذا النص حسب زعمه على سوء طاعة الصحابة لرسول الله (ﷺ) بل يتخذه دليلاً لرد نبوة محمد بالكلية فهو يقول : « فمن كان من أولئك يفكر في رد طلبه لو رأى سلطان النبي إلهياً في الحقيقة ؟ وهل كان أولئك يمنعونه من تدوين وصيته؟ كلا٠» (5)٠

فأما عن طاعة الصحابه لرسول الله (ﷺ) وحبهم له فقد ملئت مواقفهم كتب الحديث والسير والتاريخ الإسلامي ، وإن المقام ليضيق لو أردنا أن نستعرض تلك المواقف ولكننا نكتفي بمثالين منها٠

فهذا زيد بن الدثنة عندما قدموه في مكة ليضربوا عنقه تقدم إليه أبو سفيان وقال له: أنشدك الله يازيد أتحب أن محمداً الآن في مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك؟ فقال زيد والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكه تؤذيه وإني جالس في أهلي ٠ فقال أبو سفيان:مارأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ٠ ثم قتلوه رضي الله عنه شهيداً» (6)٠

وهذا عروة بن مسعود الثقفي في صلح الحديبية أرسلته قريش لمفاوضة

---

1) عماد الدين خليل : المستشرقون والسيرة النبويه ص ٦٦
2) ص٧٦
3) ص٧٦
4) ص٧٦
5) ص٧٦
6) وليد الأعظمي: الرسول (ﷺ) في قلوب اصحابه (مطبعة الوطن العربي - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص٩٥

الرسول (ﷺ) فتحدث معه ثم قام من عند رسول الله (ﷺ) وقد رأى مايصنع به أصحابه لايتوضأ الا ابتدروا وضوءه ولايبصق بصاقاً إلا ابتدروه ولايسقط من شعره شيء الا أخذوه واذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى قريش فقال: يامعشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله مارأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوماً لايسلمونه لشيء فروا فيه رأيكم»(١).

أما عن نص الحديث الذي استشهد به سيديو فإن له روايات عدة منها ماروواه ابن شهاب عن عبيد الله ابن عبد الله عن ابن عباس قال: لما إشتد بالنبي (ﷺ) وجعه قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده» قال عمر إن النبي (ﷺ) قد غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال:قوموا عني،ولاينبغي عندي التنازع،فخرج ابن عباس يقول: إن الرزيه كل الرزيه ماحال بين رسول الله (ﷺ) وبين كتابه»(٢).

ومنها مارواه سعيد بن جبير أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بل دمعه الحصى: قلت ياأبن عباس مايوم الخميس؟ قال: إشتد برسول الله (ﷺ) وجعه فقال: إئتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده أبداً فتنازعوا، ولاينبغي عند نبي تنازع، فقال: ماله؟ أهجر؟ استفهموه، فقال: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني اليه، فأمرهم بثلاث قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ماكنت مجيزهم والثالثه إما أن سكت عنها وإما أن قالها فنسيتها»(٣).

وفي رواية للزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما حُضر رسول الله (ﷺ) وفي البيت رجال،فقال النبي (ﷺ): هلموا أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده، فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل

---

١) المصدر السابق: ص ١٣٥

٢) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٠٨/١

٣) المصدر السابق: ٢٧٠/٦-٢٧١

البيت واختصموا فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك ، فلما أكثروا اللغو والإختلاف قال رسول الله (ﷺ) قوموا ، قال عبيد الله : فكان يقول إبن عباس : إن الرزية كل الرزيه ماحال بين رسول الله (ﷺ) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لإختلافهم ولغطهم" [1].

وقد علق ابن حجر على الحديث بقوله : "غلبه الوجع" أى فيشق عليه إملاء الكتاب أو مباشرة الكتاب وكأن عمر رضي الله عنه فهم من ذلك أنه يقتضي التطويل ، قال القرطبي وغيره : إئتوني أمر ، وكان حق المأمور أن يبادر للإمتثال لكن ظهر لعمر رضي الله عنه مع طائفة أنه ليس علي الوجوب وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح فكرهوا أن يكلفوه من ذلك مايشق عليه في تلك الحاله مع استحضارهم قوله تعالى ﴿ مافرطنا في الكتاب من شيء ﴾ وقوله تعالى ﴿تبياناً لكل شيء﴾ ولهذا قال عمر حسبنا كتاب الله .. ويدل أمره له بالقيام على أن أمره الأول كان على الإختيار ،ولهذا عاش (ﷺ) بعد ذلك أياماً ولم يعاود أمرهم بذلك ولو كان واجباً لم يتركه لأختلافهم لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف..

قال القرطبي: وإختلافهم في ذلك كأختلافهم في قوله لهم "لايصلين أحد العصر إلا في بني قريظه .. فما عنف أحداً منهم من أجل الإجتهاد والمسوغ والمقصد الصالح [2] قال المازري : إنما جاز للصحابه الإختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره لهم بذلك لأن الأوامر قد يقارنها ماينقلها من الوجوب فكأنما ظهرت منه قرينه دلت على أن الأمر ليس على التحتيم بل على الاختيار فاختلف اجتهادهم وصمم عمر على الإمتناع لما قام عنده من القرائن بأنه (ﷺ) قال ذلك عن غير قصد جازم.

وقال النووي : اتفق قول العلماء على أن قول عمر : «حسبنا كتاب الله» من قوة فقهه ودقيق نظره لأنه خشى أن يكتب أموراً ربما عجزوا عنها

---

١) المصدر السابق ١٣٢/٨

٢) المصدر السابق: ٢٠٨/١ -٢٠٩

فاستحقوا العقوبة لكونها منصوصة وأراد أن لاينسد باب الاجتهاد على العلماء .. ويحتمل أن يكون قصد التخفيف عن رسول الله (ﷺ) لما رأى ما هو فيه من شدة الكرب»[1].

مما سبق يتبين لنا أن استشهاد سيديو بالحديث السابق كان في غير مكانه، كما أن استنتاجاته على عدم إلهية الرسالة التي جاء بها الرسول ﷺ وعلى سوء العلاقة بين الرسول ﷺ وأصحابه استنتاجات غير صحيحة

---

١) المصدر السابق: ٨/١٣٣-١٣٤

المبحث الرابع :

علاقته (ﷺ) باليهود:

حاول سيديو في مواقف عدة من كتابه تصوير علاقة النبي (ﷺ) باليهود بأنها قائمة على الجور والظلم والعدوان فهو يقول: « ومما حدث أن هاجم محمد بني قينقاع وأن طردهم من أرض المدينه بعد أن أخضعهم وغنم أموالهم ومما حدث أن كان نصيب بني النضير مثل نصيب بني قينقاع فوزعت أموالهم بين مهاجري مكة وفق رغبة الأنصار فراع اليهود هذان المثلان وما كان من قتل متعصبي المسلمين لأعداء النبي اليهود بين أهلهم فتحالفت القبائل اليهودية الأخرى لمقاومة هذا العدو الراغب في إهلاكها على انفراد»[1] وعن غزوة خيبر يقول: « وسار الى يهود خيبر الذين كانوا سادة مركز مهم فيجتذبون اليهم معظم تجارة الحجاز ونجد...ويسفر إستيلاء المسلمين على الحصون ذات الكنوز عن تقويض سلطان اليهود السياسي إلى الأبد فوجب عليهم أن يقروا بسيادة محمد بعد الآن إن لم يقروا برسالته وهو الذي أخذ مما غنم منهم ما أراد تركه لآله من الميراث».[2]

رد الشبهة:

يعتمد سيديو هنا على منهج الإنتقاء في عرض الحوادث التاريخية وهو منهج يعتني باختيار الحادثة التاريخية وعرضها أو جزء منها بصورة تخدم رأي المستشرق . فهو يعرض لنا أن النبي (ﷺ) قد هاجم بني قينقاع وطردهم ولايذكر لنا الأسباب وهي غدر اليهود وخيانتهم للمواثيق والعهود التى أعطوها

---

١) ص ٦٨

٢) ص ٦٩

لرسول الله ويهمل حادثة المرأة المسلمة التي كشف اليهود عورتها وقتلوا أحد المسلمين الذي حاول الدفاع عن عرضها»(١)، وعندما قال لهم الرسول (ﷺ) : « يامعشر يهود إحذروا من الله مثل مانزل بقريش من النقمة وأسلموا .. قالوا : يامحمد، إنك ترى أنا قومك لايغرنك أنك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس»(٢). إن سيديو يُغفل ذلك كله ولايهتم إلا بتصوير المسلمين في صورة المهاجمين المعتدين وإظهار اليهود في موضع المُعتَدَى عليه مع جهل أو تجاهل تام لغدرهم وخيانتهم ونقضهم للعهود والمواثيق وكذلك الحال بالنسبه ليهود بني النضير والذين حاولوا قتل رسول الله (ﷺ) بإلقاء صخرة عليه فأنقذه الله منهم (٣) وكان هذا سبب إجلاءهم من المدينة لايذكر سيديو شيئاً عن ذلك وهو لايختار من هذه الحادثة إلا قضية الإجلاء وغنيمة أموالهم.

إن بني يهود سجلهم مليء بالحقد والخيانة والكيد لهذا الدين منذ أن علموا بظهور هذا النبي وأنه من العرب وليس منهم، فهذا الشاعر اليهودي كعب بن الأشرف ، كان يهجو النبي (ﷺ) وأصحابه ويحرض عليهم ويؤذيهم وقد إغتاظ وبكى من إنتصار النبي والمسلمين على قريش وحرض قرشاً عليهم»(٤).

ولا يخفى كذلك دورهم ومساعيهم في تحريض الأحزاب وتأليب قبائل العرب للقضاء على دولة الإسلام في المدينة وحرب رسول الله (ﷺ) ، حيث قالوا لهم :

---

١) ابن هشام :السيرة النبوية ٥١/٣

٢) المصدر السابق: ٥٠/٣

٣) المصدر السابق: ١٩٩/٣

٤) محمد عزه دروزه: « موقف اليهود من الاسلام والمسلمين» حضارة الاسلام عدد ٤ جمادى الثاني ١٣٨٨هـ ايلول ١٩٦٨م

إنا سنكون معكم حتى نستأصله»[1].

وبلغ حقد اليهود وكراهيتهم للإسلام مبلغاً عظيما فحينما سألت قريشاً اليهود أيهما أفضل دينهم أم دين محمد « قالوا : بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه »[2] فأنزل الله فيهم ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاًأولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً** ﴾[3].

كما أن المدقق في الاقتباسات السابقة يلاحظ إبراز سيديو لدور الغنائم في حياة الرسول وأصحابه فعن بني قينقاع يقول « بعد أن أخضعهم وغنم أموالهم »[4]وعن بني النضير قوله « فوزعت أموالهم بين مهاجري مكة»[5]وعن يهود خيبر يقول : « الذين كانوا سادة مركز مهم فيجتنبون إليهم معظم تجارة الحجاز ونجد »[6] الى أن يختم بقوله : الذي أخذ مما غنم منهم ما أراد تركه لآله من الميراث »[7].

وكعادته لايقدم - سيديو - دليلاً أو مرجعاً على مايقول، ولنا أن نتساءل عن مقدار تلك التركة المدعاة التي خلفها رسول الله (ﷺ) لآله من الميراث على حد زعم سيديو.

---

١) محمود شاكر: التاريخ الاسلامي (السيره) ط٣ (بيروت - المكتب الاسلامي-١٤٠٥)ص٢٨١
٢) المصدر السابق: ص ٢٨١
٣) النساء ٥١-٥٢
٤) ص ٦٨
٥) ص ٦٨
٦) ص ٦٨
٧) ص ٦٩

ولعله كان يقصد ما أفاء الله على رسوله من فدك وخيبر، ويُرد على ذلك بالحديث الصحيح الذي ترويه السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها : « إن فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) أرسلت: إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ، مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك ومابقي من خمس خيبر ، فقال أبو بكر : إن رسول الله (ﷺ) قال : لانُورثُ ماتركنا صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله عن حالتها التي كانت عليها في عهد رسول الله ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً) [1].

يقول ابن كثير : بيان أن النبي (ﷺ) لم يترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شاة ولا بعيراً ولا شيئاً يورث عنه بل أرضاً جعلها كلها صدقة لله عزوجل ، فإن الدنيا بحذافيرها كانت أحقر عنده - كما هي عند الله - من أن يسعى لها أو يتركها بعده ميراثاً [2].

قال البخاري : « ماترك رسول الله (ﷺ) ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة»،وقالت عائشة رضي الله عنها « توفي رسول الله (ﷺ) ودرعه مرهونة بثلاثين صاعاً من شعير» [3].

---

١) ابن الأثير الجزري: جامع الأصول من أحاديث الرسول، ط٢ (بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ٣٨٧/١٠

٢) ابن كثير : البداية والنهاية ط٢ (دار الفكر العربي - ١٣٨٧هـ) ٢٨٢/٥-٢٨٣

٣) ابن حجر: ١١٤/٦-١١٦

الفصل الثاني

رؤية « سيديو » لموقف الرسول (ﷺ) من العقائد « عـــرض ومناقشـــــة»

المبحث الأول

تأثر النبي (ﷺ) - حسب زعمه - بالمعتقدات القديمة كاليهودية والنصرانية وعادات العرب وغيرها

المبحث الثاني:

مزاعمه حول القرآن الكريم

المبحث الثالث:

زعمه أن الإسلام من صنع محمد (ﷺ)

المبحث الأول:

تأثر النبي (ﷺ) (حسب زعمه) بالمعتقدات القديمة كاليهودية والنصرانية وعادات العرب وغيرها:

سبق وأن قلنا أن هذا التصور وهو إرجاع النبوة لرسول الله (ﷺ) إلى أصول يهودية ونصرانية يكاد يأخذ برقاب المستشرقين ويضع بصماته العميقة على مناهجهم في التعامل مع دقائق السيرة ونبوة رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام.

وسيديو يعلن هذه الفكرة صراحة من الصفحات الأولى من كتابه حيث يقول في المقدمة: " ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد هو محمد فقد ألهم المبادىء اليهودية والنصرانية فأقام ديناً بعيداً من الخوارق "(1)ويقول أيضاً: " وهو إذ كان على علم بتعاليم دين اليهود ودين النصارى"(2)وفي موطن آخر يقول: " ويود محمد أن يكون على وئام هو والنصارى واليهود فيعلن صحة كتبهم المنزله ويذهب إلى أن كتابه جاء متمماً لما تقدمه غير أنه يرفض سر الثالوث الذي لم ينفذ إليه كما يظهر " (3)" وأن النصارى واليهود على حق ماداموا التوراة والإنجيل من الكتب المنزلة فيكفي أن يعترفوا بأن القرآن جاء متمماً لها" (4).

وحول زعمه تأثير النصرانية في الإسلام يقول:"ونحن حين نقدر القرآن نقول إن محمداً لم يبتغ في تأليفه أن يمنح البشرية أدباً أفضل مما في الإنجيل" (5)وحول سفر الرسول للشام يقول: " فبلغ بصرى فاجتمع فيها ببحيرا .. فنال حظوة عنده " (6).

وحول تأثير اليهودية في الإسلام كما يدعي - يقول: " ولم يُبد اليهود عطفاً إليه فكانوا يزعمون أن الدين الجديد وأن إله الإسلام

---

1) ص ١٣
2) ص ٥٩
3) ص ٧٧
4) ص ٧٨
5) ص ١٠٣
6) ص ٥٨

ليس سوى يهواهم"[1]٠

نكتفي بهذه الاستشهادات التي تبين موقف سيديو حيال هذه القضية ولن نستطرد أكثر من ذلك ويكفي أن نعلم أن سيديو قد كرر هذه الفكرة في بحثه أكثر من عشرين موضع٠

رد الشبهة:

هذه الادعاءات ليست جديدة فهو كغيره من المستشرقين يردد أقوال المشركين في مكة واليهود في المدينة ٠ قال تعالى : ﴿ **وقالوا أساطير الأولين أكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً** ﴾ [2]٠

وقال : ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** ﴾ [3]٠

وسيديو حسب منهجه في القاء الشبهات وعدم تقديم مايسندها من الأدلة لايقدم لنا هنا أي دليل على موقفه وزعمه هذا فهو لايبين لنا كيف كان هذا الإلهام المزعوم٠ولنا أن نتساءل متى وكيف كان رسول الله (ﷺ) على علم بتعاليم دين اليهود ودين النصارى؟٠

إن الذي يريد أن يصنع ديناً مستقى من دينين آخرين لابد أن يكون على علم تام بتلك الديانتين ولا يصل المرء إلى تلك الدرجة من العلم إلا بعد سنين طويلة من الدراسة والتحصيل فهل تهيأ شيء من ذلك أو بعضه لرسول الله (ﷺ)؟ لاشيء على الإطلاق٠

وأما عن صلة الرسول ببحيرا الراهب والحظوة التي نالها عنده فلا يُعقل أبداً أن يُلم صبي في سني عمره الأولى [4]بعلم يستعصي فهم تعقيداته وغموضه على كثير من رجال الديانتين اليهودية والنصرانية٠

ثم إن قصة بحيرا الراهب إن صحت [5]فهي حجة على المستشرقين لالهم

---

١) ص ٦٨
٢) الفرقان:٢٧
٣) النحل:١٠٣
٤) قيل أن عمره آنذاك ٩ سنين وقيل:١٢ سنة ٠ انظر ابن هشام:السيرة النبوية١/١٩١
٥) مصطفى حلبي:ص١٥٤

لأنها تذكر شهادة الراهب بنبوة الرسول (ﷺ) « يقول ابن كثير : « فلما رآه بحيرى جعل يلحظ لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها من صفته ... فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته و أموره فجعل رسول الله (ﷺ) يخبره فوافق ذلك ماعند بحيرى من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده ... فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال : ماهذا الغلام منك؟ قال: ابني.قال بحيرى:ماهو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً.قال فإنه ابن أخي قال فما فعل أبوه؟ قال مات وأمه حبلى به.قال :صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهودا فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليبْغُنّه شراً فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم. »[1].

إن سيديو قد وضع الفكرة في ذهنه مسبقاً وأخذ يبحث عن مايدعمها من الأدلة مهما كان الدليل بعيداً عن موضع الاستدلال فهو لايؤمن بنبوة محمد (ﷺ) ولذا تراه مضطرباً إلى حد التناقض في تقديم شبهته فتارة يقول بأن القرآن من تأليف محمد (ﷺ) وتارة يقول بأنه عليه الصلاة والسلام قد ألهم الديانة اليهودية والنصرانية ومرة ينص على علمه بالديانتين وتارة يقول بإعلان الرسول لصحة كتبه أهل الكتاب . بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك . فهو يزعم تأثير الفرس والهندوس والمجوس في الإسلام إذ يقول « ولنقل أن محمداً لم يرجع إلى خياله وحده في رسم جنته فهو استعار أكثر ألواحه من الفرس واليهود والهندوس »[2] ويقول أيضاً:«وليس إبليس المسلمين الذي هو زعيم العفاريت غير شيطان اليهود وأهر من المجوس »[3].

ثم إن في القرآن آيات لاتوافق عقيدة المسيحية وآيات توضح نفسية اليهود الخبيثة فكيف يكتبها من تأثر بتلك الديانتين؟ يقول الحق تبارك وتعالى في حق

---

1) ابن هشام: السيرة النبوية ١٩١/١ وكذلك ابن كثير: السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد (بيروت - دار المعرفة - ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ٢٤٥/١

2) ص ٨٣

3) ص ٧٩

النصارى : ﴿ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة،انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد، له مافي السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا﴾ (١)ويقول أيضاً : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ (٢).

ويقول في حق يهود : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا﴾ (٣).

﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدي القوم الظالمين ﴾ (٤).

وهذه التهمة لوكان لها نصيب من الصحة لفرح بها كفار قريش وقاموا لها وقعدوا لأنهم كانوا أعرف الناس برسول الله (ﷺ) وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأية وسيلة ولكنهم كانوا أكرم على أنفسهم من هؤلاء الملاحدة فحين أرادوا طعنه بأنه تعلم القرآن من غيره ولم يفكروا أن يقولوا أنه تعلم من بحيرا الراهب أو من اليهود كما قال هؤلاء لأن العقل لايصدق ذلك والهزل لايسعه بل لجأوا إلى رجل في نسبة الأستاذية إليه شيء من الطرافة والهزل حتى إذا مجت العقول نسبة الأستاذية إليه لاستحالتها قبلتها النفوس لهزلها وطرافتها فقالوا : « إنما يعلمه بشر وأرادوا بالبشر حداداً رومياً منهمكاً بين مطرقته وسندانه» (٥).

والسؤال الذي نقدمه لسيديو ولغيره من المستشرقين هو « لماذا لايكون

---

١) النساء:١٧١

٢) المائدة:٧٢

٣) المائدة:٦٤

٤) الجمعه:٥

٥) محمد سرور بن زين العابدين : دراسات في السيرة، ص ١٦٦ - ١٦٧

الإسلام ديناً أصيلاً مأخوذاً مباشرة من نفس النبع الذي أخذت عنه الديانات السماوية قبل أن تتدخل أيدي البشر لتحريفها؟ لماذا لايكون الإسلام هو الحلقة الأخيرة من حلقات الوحي الإلهي الذي أقام الاتصال بين السماء والأرض على مدى التاريخ البشري؟ هل مبدأ جواز الاتصال بين السماء والأرض عن طريق الوحي مبدأ مسلم به أم لا؟ إنه إذا كان هذا المبدأ مسلماً به فلا معنى لأن تحتكره اليهودية والمسيحية وتمنعه عن الإسلام وإذا لم يكن - في عُرفهم - مبدأ مسلماً به فلا مجال للديانات جميعاً »(١).

ولايكتفي سيديو بما سبق من شهادة ودعاوى عقيمة بل يستمر في شططه محاولاً إثبات نظرية تأثير العادات والتقاليد العربية في الإسلام إذ يقول:«ولايجد محمد في أي من المعتقدات التي تساور النفوس مايروي غليل أولئك القوم الذين ملئوا أوهاماً وأضاليل ويختار من تلك المعتقدات الكثيرة بلباقة مايلائم عقول العرب »(٢).

ويقول أيضا : « وماكان في غنى عن النظم الشائعة ببلاد العرب ... فكانت ضرورية لتحقيق خططه »(٣).

ويقول أيضاً : « ومحمد حين يقول بمبدأ القصاص ... يكون قد ساير أحكام زمانه»(٤).

وللرد على هذه الافتراءات نقول إن الإسلام قد نقد كثيراً من عادات العرب وتقاليدهم وعقائدهم الوثنية فكيف يأخذ منها ثم ينقدها.

قال الله تعالى ناقداً شركهم: ﴿ **وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون**﴾ (٥)وقال : ﴿**مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير ربكم**﴾ (٦)وقال ناقداً لبعض عاداتهم الجاهلية: ﴿ **وكذلك زين لكثير من**

---

١) محمود حمدي زقزوق :الإسلام في تصورات الغرب (القاهرة- مكتبة وهبة-١٤٠٧هـ)ص١٧٢
٢) ص ٧٤
٣) ص٩٠
٤) ص ٨٨
٥) الانعام:١٠٠

المشركين قتل أولادهم شركاؤهم[10]﴾ الآية[1].

ولقد كانت الحياة في جزيرة العرب وقت ظهور الإسلام تعمها الخرافات والضلالات والجاهلية الظلماء فجاء الإسلام مصححاً لتلك الأوضاع ناقداً لها ومؤكداً على بعض الجوانب الإيجابية القليلة التي لازال المجتمع متمسكاً بها كالكرم والشجاعة وغيرها.

وعموماً فهناك إصرار من جانب أغلب المستشرقين على أن الإسلام دين بشري ،ومن هذا المنطلق يحاولون جاهدين البحث عن جذور هذا الدين في الديانات القديمة السماوية والطبيعية والوثنية وقد أعماهم هذا الإفتراض الباطل عن إدراك جوهر الإسلام وفهم رسالته فراحوا يتخبطون في أحكامهم عليه وعلى نبيه.

ويوم تزول الغشاوة عن الأعين ويتجهون الى بحث الإسلام وهم ينشدون الحقيقة المجردة غير مثقلين بأفكار مسبقة أو أحقاد صليبية قديمة كانت أم حديثة عندئذ فقط سيكون من السهل عليهم التوصل إلى رؤية حقيقة الإسلام الناصعة وهو أنه دين الله»[2].

---

٦) البقرة:١٠٥

١٠) الانعام:١٣٧

٢) محمود حمدي زقزوق: الإسلام في تصورات الغرب ص٣٠

المبحث الثاني:

مزاعمه حول القرآن الكريم:

من أهم القضايا التى ركز عليها سيديو القول ببشرية القرآن إذ يقول: « والقرآن مؤلف من قطع متفرقة قدمت الى المؤمنين على أنها منزلة - من الله - فلم تخل من متناقضات بحكم الطبيعة لملاءمتها الأحوال كوصية قيصر» (١)ويقول: « لقد بينا الصفات العامة التي تجعل من القرآن كتاباً مبتكراً » (٢)ويقول أيضاً:«وللنبي نصائح غالية في سورة النور» (٣) ويقول أيضا : « ويزين المسلمين جدر مساجدهم وأعلامهم ومبانيهم بالآيات فتذكرهم هذه الآيات التي أملتها عوامل الأخلاق الخالصة تقريباً بما هو واجب عليهم نحو الله» (٤)٠

ويحدد سيديو رسالة القرآن من وجهة نظره فيقول : « ونحن حين نقدر القرآن نقول إن محمداً لم يبتغ في تأليفه أن يمنح البشرية أدباً أفضل مما في الإنجيل أو أن يفرض دستوراً واحداً على جميع أمم الشرق ، أو أن يحصر الشعور الديني في حدود أبدية لاتتبدل وإنما أراد أن يربط جميع قبائل جزيرة العرب بقاعدة مشتركة وأن يوحدها تحت لواء واحد » ويضيف « والحق أنك لاتجد مافي القرآن ٠٠ ماهو غير منسجم مع ميول الأمة العربية ٠٠ فيجب أن يصل ٠٠ إلى النتيجة التي أعدلها» (٥)٠

وعن أسباب تأخر المسلمين يقول : « ولكن هذا الشعب **(العربي)** أخطأ كثيراً إذ حرم نفسه حق تحويله **(أي القرآن)** مع مقتضيات الزمن فكان ذلك سر تأخره بعد حين٠٠إلى أن قال:«وماكانت نتائج تطبيق القرآن على مختلف الشعوب على وجه مؤلم لتظهر إلا بعد زمن طويل وما كان محمد ليبصر ذلك» (٦)٠

---

١) ص ٧٧
٢) ص ١٠٣
٣) ص ٩٨
٤) ص ٧٥
٥) ص ١٠٤
٦) ص ١٠٤-١٠٥

المناقشة:

تأتي هذه الشبهة على رأس الشبهات التي يحاول المستشرقون إثباتها بشتى الوسائل ولقد أدى جهل الأربيون بالإسلام ونبيه (ﷺ) إلى أن يجهلوا بالقرآن الكريم ومن أسباب هذا الجهل والذي حال دون تعرفهم على الإسلام مايلي:

١ - الحالة النفسية التي واجهت بها أوروبا الإسلام من خوف وذعر وعدم الأمان من جانب الإسلام.

٢ - أن أوروبا كانت تعيش تحت وطأة رجال الدين الذين عزلوا الغربيين عن العلم ولذلك عندما ترجم القرآن لم يتمكن أوربيو تلك الفترة من الاطلاع عليه ولا التعرف على مضمونه.

٣ - تأثرهم بالنظرة الغربية والمتركزة في إيمانهم بالمحسوس فقط وإنكار كل مايتعلق بالغيب والروح وسيديو هنا يحاول جاهداً إفهامنا زعمه أن القرآن ماهو إلا عمل مبتكر من تأليف محمد (ﷺ) وإننا إذ لانلزم المستشرق أن يؤمن بما نؤمن به إلا أن البحث العلمي النزيه يحتم على الباحث المنصف أن يقدم بين يدي آراءه أدلة علمية واضحة تبرهن صحة مايقول وأن لايدع مجالاً للتعصب الأعمى أو العداء العرقي أو القناعات السابقة إن تأثر في سير ونتائج البحث.

وللرد على ماتقدم من مفتريات نقول :

إن أسلوب القرآن يخالف مخالفة تامة أسلوب كلام محمد (ﷺ) ويستحيل أن يكون القرآن من وضعه والحديث من وضعه ولا يكون تشابه ولو في بعض الآيات والأحاديث على الأقل.

ثم إن محمداً (ﷺ) أمي لم يدرس ولم يتعلم فهل يُعقل أنه أتى بهذا الإعجاز التشريعي المتكامل دون أي تناقض وهل يتأتى له أن يكون هذا القرآن بإعجازه اللغوي الفريد وإعجازه التشريعي المتكامل من عنده؟ إن نظرة القرآن الكاملة الشاملة لو كانت من صنع محمد (ﷺ) لما كان بشراً إن هذه التنظيمات وهذه التشريعات تعجز عن القيام بها لجان كثيرة لها ثقافات وتخصص عميق فرجل

أياً كانت عبقريته ليعجز عن أن يأتي بتنظيم في مسألة واحدة فما بالك بكلها مع تنوعها وتلون إتجاهاتها.

ولقد أخبر القرآن عن أمور غيبية مالبثت أن تحققت فقد وعد الله سبحانه وتعالى نبيه بالنصر والتمكين في الأرض فقال سبحانه : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ (١) وتحقق وعده سبحانه بظهور الروم على الفرس . قال تعالى : ﴿ **ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين..** ﴾ (٢)كما تحقق وعد الله لنبيه (ﷺ) بفتح مكة ، قال سبحانه : ﴿**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين...**﴾ (٣).

ثم إن في القرآن إعجاز علمي في الكون والحياة فهل يعقل أن هذا النبي الأمي (ﷺ) الذي نشأ في بيئة جاهلية يكون قد ألفه فكيف عرف عليه الصلاة والسلام أن كمية الهواء في الأجزاء العليا تقل إلى درجة أن الإنسان يضيق صدره فيها؟ وكيف أدرك أن الشمس والقمر يسبحان في هذا الفضاء؟ وغير ذلك.

كما أن في القرآن عتاب ولوم لمحمد (ﷺ) في مواضع عديدة قال تعالى : ﴿**عبس وتولىٰ أن جاءه الأعمىٰ**﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم** ﴾ (٥)وقال أيضاً : ﴿ **وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾ (٦)فهل يألف محمد (ﷺ) كتاباً يريد به الرفعة ثم يوجه العتاب إلى نفسه في مواطن عديدة؟.

ولقد كانت تنزل به (ﷺ) نوازل وأحداث من شأنها أن تحفزه إلى القول وكانت حاجته القصوى تُلح عليه - كما في حادثة الإفك - فلوكان الأمر إليه لود مقالاً ولكن كانت تمضي الليالي ولا يجد في شأنها قرآناً يقرؤه على الناس.

---

١) الصف: ٩
٢) الروم:١-٤
٣) الفتح:٢٧
٤) عبس :١-٢
٥) التوبة:٤٣
٦) الأحزاب :٣٧

ولوكان القرآن من عند محمد لما رفع قدر المسيح أو موسى إلى منزلة عالية بل لكان أقل مايجب هو الصمت عن معجزات موسى وعيسى وغيرها كي لايضع في يد الخصم سلاحاً ماضياً (١).

ويتسائل المستشرق "إيتين دينيه" .DINET,ET كما أورد ذلك عماد الدين خليل قائلا: « أهذه الآيات الخارقة تأتي من محمد (ﷺ) ذلك الأمي الذي لم ينل حظاً في المعرفة؟ كلا إن هذا القرآن لمستحيل أن يصدر من محمد وأنه لامناص من الاعتراف بأن الله العلي القدير هو الذي أملى تلك الآيات البينات» (٢).

وتضيف الأمريكية ديبورابوترD.POTTER (٣) قائلة: « كيف استطاع محمد (ﷺ) الرجل الأمي الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم والتي لازال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها لابد إذن من أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عزوجل» (٤).

ويقول المستشرق "هنري دي كاستري" H.DE CASTRIES: « إن العقل يحار كيف يتأتي أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى. آيات لما سمعها عقبة ابن ربيعه حار في جمالها وكفى رقي عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب فآمن برب قائلها وفاضت عين نجاشي الحبشة بالدموع لماتلى عليه جعفر بن أبي طالب سورة زكريا .. ولكن نحن معشر الغربيين لايسعنا أن نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته الأفكار ومغايرته لماربيت عليه الأمم عندنا..» (٥).

وحول اعتقاده بأن سبب تأخر المسلمين هو تمسكهم بالقرآن نقول إن لتأخر المسلمين أسباب كثيرة أهمها هو ابتعاد كثير من المسلمين عن القرآن شريعة

---

١) عبد المتعال الجبري:ص٦٠

٢) عماد الدين خليل:ماذا قالوا عن الإسلام (الرياض-الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤١٢/١٩٩٢م) ص٦٤

٣) ديبورابوتر : باحثة أمريكية ولدت عام (١٩٥٤) في ولاية متشيغان الأمريكية . تخرجت من فرع الصحافة بجامعة متشيغان ،اعتنقت الإسلام عام (١٩٨٠) بعد زواجها من أحد الدعاة المسلمين بأمريكا

٤) المصدر السابق : ص ٥٥

٥) المصدر السابق : ص ٦١-٦٢

ومنهاجاً ولن تصلح الأمة إلا بما صلح به سلفها في القرون الأولى ، واليوم الذي تعود الأمة فيه إلى كتاب ربها وسنة نبيها تعود إليها مكانتها وصدارتها في قيادة البشرية.

المبحث الثالث:

زعمه أن الإسلام من صنع محمد (ﷺ):

كثيراً ما تركزت شبهات المستشرقين في نبوة الرسول (ﷺ) والوحي وهي أخطر شبهاتهم إذ يشرق المستشرقون ويغربون في تفسيرهم وتحليلهم لنبوته (ﷺ).

ويذهب سيديو - كما ذهبوا - إلى أن الاسلام من عند الرسول (ﷺ) وأنه عليه الصلاة والسلام قد عزم على إقامة دين جديد على أنقاض الدين القديم.

كما أنه يفسر نبوته (ﷺ) على حد زعمه بأنها إحساس داخلي نضج فأفصح عنه بالنبوة ولن نستطرد في ذكر جميع أقواله بهذا الخصوص بل سنختار منها مانظن أنه يوضح رأيه في هذه القضية بصراحة.

يقول سيديو : « وهو راغب في إقامة دينه الجديد إقامة متينة على أنقاض الدين القديم » (١) ويقول: « عزم على إقامة دين جديد»(٢)ويقول: « فكان يجب أن يؤثر في قريش ومكة اذا ما أريد إقامة دين وطني واحد في جزيرة العرب فهذا ما أدركه محمداً تماماً» (٣)ويقول: « ومحمد الذي كان منظر الطبيعة غذاء لعقله فعرف أن يسمو به إلى خالقه شعر في نفسه ذات الحس الديني بضرورة الإفصاح عما نضج في فؤاده من الفكر .. فيجب على من يبتغي إبداع دين أن يبدع » (٤)ويقول « وكان يقول إن رسولاً من السماء يأتي إليه بأوامر الله تعالى ومن الواضح أن يكون ختال في وجده» (٥) «فترى إذن أن كلمة لاإله إلا الله محمد رسول الله تعبر

---

١) ص ٧١
٢) ص ٥٩
٣) ص٥١
٤) ص ٩٠
٥) ص ٧٥

عما كان يدور في خلد النبي محمد»[1] ويقول: «ويعجبون من صلاته بالملك جبريل ويتلقون آي القرآن التي أراد محمد نشرها ليوفق في عمله على أنها من مصدر إلهي ويسمي محمد دينه الجديد بالإسلام...ويصرح ورقة بن نوفل ...بأن محمداً نبي العرب»[2].

المناقشة:

مما سبق يتبين أن سيديو يرفض نبوة الرسول (ﷺ) ولا يؤمن بها ، ونحن لانلزمه بأن يؤمن بما نؤمن به ولكن عليه في مضمار البحث العلمي أن يثبت بالأدلة مايرفضه.

ولأن سيديو كثيراً ما يلجأ في شبهاته إلى الافتراضات والتخمينات والتحليلات التي لاتستند إلى دليل كان من الطبيعي أن ينتهي الى تلك النتائج الخاطئة.

فسيديو يدعي أن نبوة الرسول (ﷺ) فكرة نضجت في نفس الرسول (ﷺ) وإحساس في نفسه ويدعي أن الملك جبريل عليه السلام لم ينزل على الرسول (ﷺ) ويفسر ذلك بأنه خيال في وجده.

كيف يمكن لسيديو إثبات أن النبوة فكرة نضجت في نفس الرسول (ﷺ) أو أنها إحساس نفسي؟ وعلى أي برهان أقام إنكاره أن الرسول (ﷺ) لم ير جبريل وأن جبريل عليه السلام لم يبلغه ما أوحاه الله إليه؟.

ولم يكتف سيديو بتحليل تصرفات الرسول (ﷺ) وسلوكه الشخصي الظاهر بل تعداه إلى تحليل ماهو غير منظور متعداه إلى تحليل نفسيته وأفكاره عليه الصلاة والسلام.

فإذا كان الوحي تطوراً داخلياً فكيف علم به المستشرق؟ وكيف تيقن أن الرسول (ﷺ) قد سمع مايوهمه أنه مؤسس دولة ومشرع لها ولنا أن نطالب المستشرق سيديو بأدلته على إدعاءاته وأن هذه الإدعاءات محض خيال ونتيجة الهوى الذي من خلاله يصل سيديو وغيره إلى مايريد إثباته.

---

1) ص٧٨

2) ص ٦٠

إن سيديو – كغيره من جمهور المستشرقين – ينكر أن يكون الرسول نبياً موحى إليه من عند الله جل شأنه ويتخبط في تفسير مظاهر الوحي فمرة يرجعها إلى تخيلات و أحاديث نفسيه كانت تملأ ذهن النبي (ﷺ) ومرة يفسرها بأنها رغبة في إقامة دين على أنقاض آخر.

ويصف هذه الرغبة على أنها ديني وطني ، وهكذا كأن الله لم يرسل نبياً قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي.

يذكر لنا عماد الدين خليل شهادات بعض الغربيين في نبوة الرسول (ﷺ) نرى من المناسب الاكتفاء بذكر واحدة منها خشية الإطالة إذ يقول عن «لايتنر» LIGHTNER [1] : « بقدر ما أعرف من دين اليهود والنصارى أقول بأن ماعمله محمد (ﷺ) ليس إقتباساً بل لقد (أوحى إليه ربه) ولاريب في ذلك طالما نؤمن بأنه قد جاءنا وحي من لديه عزيز عليم» [2].

إن دعوى النبوة أمر جلل وهي تمس أخص حالات الإنسان النفسية والعقلية والنجاح فيها لايكفي فيه الدليل القاطع فحسب ولكنه يجب أن يصحبه سمو خلقي عظيم وتأثير روحاني كبير وليس في تاريخ العالم من الناحية الدينية ما يشبه النجاح الباهر الذي أصابه محمد (ﷺ) عقب دعواه النبوة فالمسألة كما يقول «كارلايل» CARLYLE : « ماذا تطلب من الأدلة على صدق من يدعي لك أنه بناء أكثر من يبني لك صرحاً يبقى أكثر من ألف ومائتي عام ويؤوي أكثر من مائتي مليون نسمة» [3].

---

1) لايتنر: باحث إنجليزي حصل على أكثر من شهادة دكتوراة في الشريعة والفلسفة واللاهوت وزار الأستانة عام ١٨٥٤، كما طوف بعدد من البلاد الإسلامية

2) عماد الدين خليل : ماذا قالوا عن الاسلام ص ١٣٤

3) محمد فريد وجدي:«شبهات داحضة وحملة فاشلة» نور الإسلام عدد ٨ شعبان ١٣٥٥هـ «أصبح الآن ١٤١٣ عام والمسلمون بلغوا المليار نسمة»

الفصل الثالث

رؤية سيديو لموقف الرسول (ﷺ) من التشريع الإسلامي

(عرض ومناقشة)

المبحث الأول:

موقفه من مفهوم الجهاد وأسبابه عند الرسول (ﷺ)

المبحث الثاني:

موقفه من بعض العبادات والمعاملات

المبحث الأول:

موقفه من مفهوم الجهاد وأسبابه عند الرسول (ﷺ)

يرى سيديو أن فرض الجهاد على المسلمين إنما كان بغرض إلهائهم وشغلاً لأوقات فراغهم ودفعاً لبطالة صاروا إليها - كمايزعم - ويلمح بطرف خفي إلى التفسير المادي للفتوحات الأسلامية كما يذهب إلى أن الإسلام قد انتشر بالسيف.

إذ يقول : « أدرك أن دينه - أي الاسلام - ينهار إذا ما تبددت حرارة أصحابه بسبب البطالة وكانت الحرب أفضل وسيلة لإمداد نار الحماسة التى أوقدها ... وللنبي أن ينتقم من أعدائه جزاء ماوجهوه إليه من الشتائم بمكة وأن يطالب قريشاً بحساب عن نفيه وأن يستغل مابين المدينة ومكة من التنافس التجاري بمهارة فائقة » (١).

ويقول بعد أن ذكر بعض آيات الجهاد : « وكانت غاية محمد من ذلك القول إثارة حمية العرب الحربية وكان محمد يعد السلاح أفضل وسيلة للدعوة فأصبح لزاما عليه أن يستغل روح الحرب في القبائل التى كانت تقتتل لاريب، لو لم يسطلها على الأجنبي وكان محمد يعد عدواً لبلاده بدلاً من أن يعد محسناً لها لو لم يفعل هذا، وكان محمد مضطراً إذن أن يحرك حمية العرب الحربية في سبيل دينه » (٢) وعن الغنائم يقول : « وكان من نتائج نظام الغنائم تغذية للروح الحربية وكانت أربعة أخماس الغنائم تعطى للجيش وكان الخمس يوزع بين أكثر الناس سلماً على وجه يفيد الجهاد» (٣).

وأما على من يجب الجهاد فيقول سيديو : « ولايُعفى من الجهاد غير الصبيان والمجانين والحمقى ويجب على الأشخاص الآخرين من أحرار وموالي ورجال ونساء وأصحاء ومرضى وعميان وكسحان أن يدافعوا جهد

---

١) ص ٦٥-٦٦

٢) ص ١٠١

٣) ص ١٠٣

الاستطاعة وأن يقاوم كل واحد منهم العدو حتى النهاية »(١).

الرد على الشبهات:

لقد مكث رسول الله (ﷺ) ثلاثة عشر عاماً في مكة يدعو إلى الله صابراً على أذى المشركين ، وأعداء الله يتناولون المسلمين فيسومونهم سوء العذاب ويفتكون بهم قتلاً وضرباً وتعذيباً لا لسبب وإنما لأنهم آمنوا بالله ورسوله واستمرت هذه الحال إلى أن هاجر الرسول (ﷺ) وأصحابه وكونوا الدولة الإسلامية الجديدة في ربوع المدينة المنورة بعد أن لاقوا أصناف العذاب ونهبت أموالهم وأرزاقهم وأخرجوا من ديارهم كرهاً وعدواناً.

وهذه المرحلة وظروفها يتجاهلها سيديو ويكاد لايذكر عنها شيئاً سوى النزر اليسير مع بالغ أهميتها عند الحديث عن الجهاد في الإسلام لأنها تمثل إحدى مراحله، متبعاً في ذلك منهج الانتقاء في اختيار الأحداث التي يستطيع من خلالها بث شبهاته.

ولنا أن نلقي نظرة سريعة على أهم الغزوات في حياته (ﷺ) لنرى عن قرب أسباب تلك المعارك والتى كان المسلمون في موقف الدفاع في أغلبها ففي بدر لم يتمكن المسلمون من إدراك القافلة ولكنهم أخبروا بأن قريشاً قد خرجت لملاقاتهم ومن ثم فرضت عليهم المواجهة والقتال (٢) وإن كان الباعث الحقيقي لغزوة بدر هو الدفاع والمواجهة المفروضة من قبل الأعداء فإننا نجد أن حروب الرسول الأخرى كلها كانت ذات طابع دفاعي محض ولم يكن الرسول ولا أصحابه معتدين أبداً ولا ذوي ميول لسفك الدماء والقتل كما يزعم المستشرقون فغزوة بني قينقاع كانت نتيجة نقض اليهود للعهد الذي أبرموه مع الرسول (ﷺ) وذلك بمكاتبتهم للمشركين وتحالفهم معهم وتأليبهم لهم ضد المسلمين(٣). وكانت غزوة أحد رداً لقريش التى خرجت زاحفة على المسلمين تريد أن تثأر

---

١) ص١٠١

٢) ابن هشام : السيره النبوية٢/٢٦٦-٢٦٧

٣) المصدر السابق ٣/٥١

لهزيمتها في بدر (١)٠

وكانت غزوة الخندق مثالا واضحاً على الدفاع عن الأهل والمال والوطن وكان حصار بني قريظة بعد غزوة الخندق وقتلهم نتيجة نقضهم وتحالفهم مع الأحزاب ضد المسلمين (٢) ثم يأتي فتح مكة الذي كان نتيجة اعتداء بني بكر وقريش على خزاعة حليفة المسلمين وبعد ذلك كانت حرب هوازن بسبب استعداد هوازن لحرب المسلمين وجمعهم الجموع لذلك بعد سماعهم بفتح مكة وكانت غزوة مؤتة بسبب اعتداء عرب غسان الخاضعين للروم مرتين على أصحاب الرسول وكانت غزوة تبوك كذلك دفاعا عن النفس وذلك أن هرقل لما سمع بانتصارات المسلمين وأنهم أصبحوا شوكة في الجزيرة العربية جمع جيشاً على حدود الشام واستعد لغزو الجزيرة ولما سمع الرسول (ﷺ) بذلك لم يكن أمامه خياراً إلا الاستعداد للمواجهة وبذلك وقعت غزوة تبوك٠

هكذا كان الجهاد إذاً في حياة الرسول (ﷺ) دفاعاً عن النفس وصوناً للعقيدة وإفساحاً للطرق أمامها ولم يكن أبداً لدفع البطالة التى صار إليها الصحابة ولم يكن الهدف منه مكاسب اقتصادية وثروات مسلوبة كما يحاول سيديو أن يلمح إليها٠ وإذا قيست معارك المسلمين بكل المقاييس والموازين العسكرية فإن النتيجة ستكون مذهلة وذلك أن المسلمين لم يدخلوا معركة متكافئة أبداً لا عدداً ولا عدة، ومع ذلك كان النصر حليفهم دائماً وهو الشيء الذي تعهد الله به ﴿**وإن الله على نصرهم لقدير**﴾ (٣)٠

وهذا يؤكد حقيقتين هامتين :

الأولـــى : هي أن الفتوحات الإسلامية دليل قطعي من أدلة صحة الرسالة الإسلامية وصدق نبيها وإلا فما هو السر وراء انتصار القلة على الكثرة والضعف العسكري على القوة المدججة بأجود أنواع السلاح ؟ ٠

---

١) المصدر السابق ٣/٦٤

٢) المصدر السابق ٣/٢٣٢

٣) الحج: ٣٩

ليس وراء هذا الأمر شيء سوى أن الاسلام دين إلهي.

الثانيــة: هي أن المسلمين الذين آمنوا بهذه الرسالة وصدقوا نبيها تمكنت العقيدة في قلوبهم وسيطر الإيمان على شعورهم وتفكيرهم وصغرت الدنيا في نفوسهم وأحبوا الموت وفضلوه على الحياة. (١).

إن هذه الانتصارات العسكرية العظيمة قد أذهلت اعداء الإسلام وأجبرتهم على التفكير في أسلوب آخر لمواجهته ولم يكن أمامهم سوى المواجهة الفكرية التى تعتمد السب والشتم وإلصاق التهم وقلب الحقائق وكان الاستشراق بطل هذه المواجهة وكان الجهاد المجال الخصب الذي يمكن من خلاله تنفير غير المسلمين من الإسلام وتشكيك المسلمين في دينهم وتاريخهم وحضارتهم وذلك عن طريق وصف الإسلام بأنه دين حرب يمقت السلام ، ويدعو إلى سفك الدماء ووصف الرسول (ﷺ) على حد زعمهم بأنه يقود جيوشه لغرض دعوته بالقوة ويرسل أتباعه لقهر الشعوب وحملهم على الايمان به وسلب ثرواتهم.

إن الاسلام هو دين السلام وبنظرة سريعة إلى بعض الآيات في القرآن الكريم نجدها تحث على السلام والابتعاد عن الحرب كلما سنحت لذلك فرصة قال تعالى : ﴿**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**﴾ (٢) ويقول أيضاً: ﴿**فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً**﴾ (٣).

والإسلام لايُكرِه أحداً على الدخول فيه قال تعالى ﴿ **لاإكراه في الدين** ﴾ (٤) ويقول سبحانه ﴿**ولوشاءربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**﴾ (٥) ورفض الإسلام كذلك الحروب التى ثيرها

---

١) محمد فتح الله الزيادى : "الجهاد في حياة الرسول (ﷺ)" ، ندوة السيرة النبوية (طرابلس - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية -١٩٨٦) ص٢٧ - ٢٨

٢) الأنفال : ٦١

٣) النساء:٩٠

٤) البقرة:٢٥٦

٥) يونس :٩٩

أنانية فردية رغبة في رياء أو حمية أو مجد أو شهرة.

جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال : « الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » [1].

فالقضية إذن ليست كما يدعي سيديو إمداداً لنار الحماسة واستغلال لروح الحرب عند القبائل وتحريك لحمية العرب الحربية بل القضية أكبر من ذلك إنها قضية الإخلاص لهذا الدين والتفاني في الذود عنه بالغالي والنفيس مستصغرين النفس والأهل والأموال في سبيل الله . ولكن هيهات أن يدرك مثل هذه المعاني من يضع على عينيه نظارة سوداء ولا يرى الأشياء من خلالها إلا مظلمة في غير صورتها الحقيقية.

ولايفوتنا الإشارة إلى أنه إذا كان الإسلام يمقت الحروب وأهوالها ويحث على السلام فإنه يدعو المسلمين إلى خوض غمارها حينما تكون دواء لمرض استعصى علاجه أو عقبة حالت دون تقدمه أو فتنة اتسعت رقعتها.

إن الإسلام يدعو إلى الجهاد من أجل أمور أهما مايلي:

١ - دفع الظلم ورد العدوان ونجدة المستضعفين، قال تعالى: ﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**﴾ [2] وقال سبحانه : ﴿ **ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك**

---

١) صحيح مسلم ٤٩/١٣
٢) الحج:٣٩-٤٠

ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً»[1].

٢ - حماية الدين والتمكين لتوحيد الله في الأرض، قال تعالى : **﴿وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾**[2].

٣ - صد الباغين وناكثي العهود ، قال تعالى : **﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرىٰ فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله﴾**[3].

وقال سبحانه : **﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾**[4].

إذا لم يكن ماتقدم كافياً في دفع شبهات المستشرقين ومن تابعهم فإني أقول:أين السيف الذي أجبر أوائل المسلمين وحملهم على نبذ أصنامهم واتباع ماجاء به الرسول (ﷺ)؟ أين السيف الذي أجبر بلالاً وعماراً وغيرهم من المستضعفين على تحمل ألوان العذاب؟ وأين السيف الذي سلط على أهل المدينة وأجبرهم أن يعرضوا على النبي (ﷺ) مهمة حماية الرسالة؟ وهي مهمة خطيرة .. تكلفهم أرواحهم[5].

وقبل أن نختم الحديث فى هذا المبحث نُشير إلى الخطأ الذي وقع فيه سيديو حول من يعذرون من الجهاد إذ قال: «ولايعفى من الجهاد غير الصبيان والمجانين والحمقى». الخ[6].

والله عزوجل يقول في كتابه **﴿ليس على الأعمى حرجٌ ولا على الأعرج حرجٌ ولا على المريضِ حرج ومن يُطِع اللهَ ورسولهُ يُدخله جناتٍ تجري**

---

١) النساء:٧٥

٢) البقره:١٩٣

٣) الحجرات :٩

٤) التوبه:١٢

٥) محمد فتح الله الزيادى:الجهاد في حياة الرسول ص٣٩

٦) ص ١٠١

من تحتها الأنهار ومن يتولّ يُعذِبهُ عذاباً أليماً﴾[1]. هذه إشارات خاطفة لدلائل واضحة على بطلان مايردده الغربيون عن الإسلام وصدق الله العظيم حين قال:﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[2].

---

1) الفتح:١٧

2) التوبة:٣٢

المبحث الثاني:

موقفه من بعض العبادات والمعاملات:

سوف نعرض في هذا المبحث لبعض القضايا الفقهية التي أثارها المؤلف وسنقتصر الحديث عن ثلاث منها هي : **الصلاة - تحريم الخمر - عقوبة السرقة**.

أ- الصلاة:

يقول المؤلف: « وأن العودة إلى الصلاة باستمرار أثارت مقاومة كثيرة ، فالصلاة إذ كانت أمراً شاقاً مع أهميتها العظيمة لما يُدعى بها المسلم ليل نهار إلى الشعور بدينه أوجبت تمرداً عنيفاً غير مرة .. والصلاة إذ يتصل بها الإنسان بمقام الألوهية المجرد الصارم الذي لاتدركه الحواس دون البال تطبع المسلم بالتعصب الحماسي والزهد القاتم والغرور الديني »[1].

رد الشبهة:

يصف لنا سيديو الصلاة بأنها قد أثارت مقاومة كثيرة..وأوجبت تمرداً عنيفاً غير مرة - على حد تعبيره - ولا يبين لنا ماهي تلك المقاومة ولا ذلك التمرد العنيف الذي حصل أكثر من مرة ولامتى حصل، ولا نكاد نجد شيئاً عن تلك الأشياء التي ذكرها إلا في رأس سيديو وغيره من المستشرقين.

وبعد أن قال بأهمية الصلاة وربطها المسلم بدينه وبخالقه الذي عبر عنه بمقام الألوهية يصف سيديو ذلك المقام بالمجرد الصارم تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ثم يصف لنا آثار الصلاة على المسلم - في رأيه - فزعم أنها تطبع المسلم بالتعصب الحماسي والزهد القاتم والغرور الديني.

ولا ندري أهذا جهل من المؤلف بآثار الصلاة؟ أم تحامل على الإسلام وشعائره؟أم كلاهمامعاً؟ ويكفينا قول الله تبارك وتعالى في الصلاة إذ يقول

---

1) ص ٦١

سبحانه: ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [١].

والصلاة تربي النفس البشرية وتهذبها عن طريق تمكين صلتها بخالقها وزرع المراقبة لله، وهي نور لقلب المؤمن وفكره تمده بقوة روحية ونفسية تعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا، وللصلاة فوائد اجتماعية، إذ تقوي روابط المجتمع المسلم ويحصل في تأديتها جماعة التعارف والتواصل والتعاطف ويسود الوقار والمحبة بين الصغير والكبير.

وأما حول زعمه بأن الصلاة كانت أمراً شاقاً فهي على العكس من ذلك تماماً إذ أن من أبرز محاسن الصلاة في الاسلام سهولتها ويسرها إذ اقتصر عدد الصلوات المكتوبات على خمس صلوات بعد أن فرضت خمسين صلاة ومن يسرها أيضا أن شرع التيمم في حالة تعذر الماء وقصرها وجمعها في حالة السفر.

ب - تحريم الخمر:

يقول سيديو : « وما أوتيه محمد من الحكمة حمله على تحريم بعض اللحوم المضرة والسوائل المتخمرة » ويقول أيضاً : « إن تحريم الخمر أمر فرضه جو جزيرة العرب وإن محمداً لم يصنع غير إثبات عادة قديمة في تلك الجزيرة والصعوبة كل الصعوبة كانت في إدخال مبدأ تحريم الخمر إلى الأمم التي أخضعتها الفتوح للإسلام فعند مثل هذه المعضلات بدت دقائق فقهاء المسلمين فوجد من بينهم من زعم أن النبي حظر الإفراط في شرب الخمر » [٢].

رد الشبهة:

يحاول سيديو من خلال منهج تكرار الفكرة في أكثر من موضع ترسيخ قوله بعدم نبوة محمد إذ يُرجع تحريم الخمر وبعض اللحوم الى حكمة الرسول (ﷺ) لا إلى الله سبحانه وتعالى وتشريعه.

وأما زعمه بأن تحريم الخمر أمر قد فرضه جو الجزيرة العربية وأن النبي (ﷺ) لم يصنع غير إثبات عادة قديمة ، فهذا القول يدل على جهل صاحبه

---

١) العنكبوت:٤٥

٢) ص : ٩٥ - ٩٦

بتاريخ وأحوال الجزيرة العربية في ذلك الوقت ، هذا من جهة ومن جهة أخرى تكرار لمبدأ تأثر الرسول (ﷺ) بالعادات والقيم القديمة - حسب زعمه -.

إن الخمر في جزيرة العرب في بداية الرسالة المحمدية كان أحد عناصر الحياة الذى لايستغنى عنه ، والذي كانت تدور عليه رحى الجاهلية وكثيراً ماتغنى الشعراء والجاهليون بالخمر ولطالما دارت كؤوس الخمر في أندية مكة وبيوتاتها.

بل إن من أوضح الأدلة على تمكن الخمر من قلوب سكان الجزيرة العربية أن تحريمها في الاسلام لم يأت مرة واحدة بل جاء متدرجاً مراعياً لتلك الظروف.

تذكر لنا المصادر الفقهية (١) إن الناس كانوا يشربون الخمر حتى هاجر الرسول (ﷺ) من مكة الى المدينة فكثر سؤال المسلمين عنها وعن لعب الميسر لما كانوا يرونه من شرورهما ومفاسدهما ، فأنزل الله عزوجل : ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾ (٢).

ثم نزل بعد ذلك التحريم أثناء الصلاة تدرجاً مع الناس الذين ألفوها وعدوها جزءاً من حياتهم قال تعال : ﴿ **يأأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون...** ﴾ (٣).

ثم نزل حكم الله بتحريمها نهائيا : ﴿**يأأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**﴾ (٤).

وأما قوله أنه وجد من فقهاء المسلمين من زعم أن النبي حظر الإفراط في شرب الخمر فهذا محض افتراء والآية السابقة دليل على ذلك ، وفي الحديث الصحيح (عن أبي سلمة عن عائشة عن النبي (ﷺ) قال : « كل شراب

---

١) سيد سابق: فقه السنة ط ٧ (بيروت - دار الكتاب العربي-١٤٠٥ / ١٩٨٥م) ٣٦٨/٢

٢) البقرة:٢١٩

٣) النساء:٤٣

٤) المائدة:٩٠

أسكر فهو حرام »[1].

ج- عقوبة السرقة:

يصف سيديو عقوبة السرقه بأنها (مفرطة).

اذ يقول: « وقد تبدو عقوبة السرقة مفرطة فكانت تقطع أيدي السارقين وكانت تقطع أيدي قطاع الطرق وأرجلهم من خلاف فوجد فقهاء المسلمين عدة استثناءات لهذا الحكم محاولين تخفيف قسوته، فمحمد أراد أن يلقي الرعب في قلوب من يطمعون في أموال غيرهم»[2].

رد الشبهة:

الإفراط في اللغة هو مجاوزة الحد[3]وعقوبة السارق في الإسلام لم تجاوز الحد على الإطلاق بل أنها جاءت ملائمة لطبيعة النفس البشرية، وخالق هذه النفس منزل التشريع سبحانه وتعالى هو أدرى بصلاحها.

إن الغرب ينظر بعين الشفقة والرحمة للسارق ويهمل المجتمع الذي يمكن أن يتحول الى فئة من السراق لو لم ير تطبيق الجزاء العادل على السارق.

وإن كنا لانلوم الطبيب الذي يقرر بتر العضو الفاسد من الجسم خشية أن يفسد الجسد كله فكيف تلام الشريعة وتوصف بالإفراط وهي إنما تهدف لسلامة الفرد والمجتمع، والتضحية بالبعض من أجل الكل كما لايخفى مما إتفقت عليه الشرائع والعقول.

ثم إن الشرع الحنيف قد ضبط مسألة تطبيق الحد على السارق إذ ليس كل سرقة يقام عليها الحد بل لابد من توفر شروط ثلاثة:

١ - أخذ مال الغير.

٢ - أن يكون هذا الأخذ على جهة الاختفاء والاستئثار.

٣ - أن يكون المال محرزاً.[4]

---

1) ابن حجر ٤٢١/١، مسلم ١٥٨٥/٣
2) ص٩٩
3) محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح (القاهرة-دار المعارف) ص٤٩٩ ماده«فرط»
4) سيد سابق: فقه السنه ٤٨٧/٢

فلو لم يكن المال مملوكاً للغير أو كان الأخذ مجاهرة أو كان المال غير محرز فإن السرقة الموجبة لحد القطع لاتتحقق، ولنا أن نسأل ماهي العقوبة الملائمة الغير مفرطه - في نظر سيديو وغيره - للسرقة؟ أهي القوانين الغربية؟ إن العقوبات في القوانين الغربية المعاصرة فشلت فشلاً ذريعاً فى حل مشكلة السرقة في المجتمعات الغربية والسرقة تزداد يوماً بعد يوم والسجون كذلك يزداد نزلاؤها يوماً بعد يوم.

ولم يعد المرء في تلك المجتمعات يشعر بالامان وهي نتائج حتمية لمن لايرضى بشريعة الله.

الفصل الرابع

نقد منهج سيديو في دراسة السيرة النبوية

المبحث الأول:

نقد الدوافع والتوجهات وخليفته الثقافية والدينية.

المبحث الثاني:

نقد المصادر.

المبحث الأول :

نقد الدوافع والتوجهات وخلفيته الثقافية والدينية:

سنركز الحديث في هذا المبحث على الخلفية الثقافية للمستشرق سيديو كما سنشير إلى بعض الدوافع والتوجهات التى كان لها تأثير بالغ في كتاباته.

فسيديو كما ذكرنا في مقدمة البحث فرنسي الأصل كان أبوه مستشرقاً وفلكياً ولقد تأثر كثيراً بوالده إلى الحد الذي جعله يواصل أبحاث أبيه في الفلك والرياضيات عند العرب ، ولقد كانت جل الأعمال التى نشرها فيما بعد ، تصب في هذا الموضوع باستثناء كتابه في التاريخ: تاريخ العرب العام.

وكما تأثر سيديو بأبيه تأثر كذلك بالمستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي SILVESTRE DE SACY حيث كان سيديو يحضر محاضراته وقد عينه دي ساسي سكرتيراً لكلية فرنسا ومدرسة اللغات الشرقية (1) ودي ساسي هذا كان متديناً جداً حيث عُهد عنه أن كان يختم يومه بسماع القداس كل مساء (2) لقد كان لهذه النشأة ولهذا الاحتكاك القديم منذ الصغر بالشرق وعلومه ولغاته الأثر البالغ في حياة «سيديو» وتشكل خلفيته الثقافية.

ولقد أثرت مجريات الأمور السياسية في الفترة التى عاشها «سيديو» في تشكيل بعض الدوافع والتوجهات ، حيث عاصر «سيديو» بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر عام ١٨٣٠م ولا يخفى حقد الاستعمار الفرنسي على الإسلام والمسلمين بشكل عام وعلى الجزائر على وجه الخصوص.

وهو مايصوره الدكتور البهي بقوله : « ولكني أعود فأقول إن المؤلف فرنسي والفرنسي لايفهم العربي ... هناك ستار من الحقد عند أصحابنا أبناء فرنسا يحول بينهم وبين أن يفهمونا ، حقد قديم يرجع إلى الحروب الصليبية ،

---

1) سيديو : ص ٩

2) عبد الرحمن بدوي : ص ٢٣٠

والفرنسيون يعتقدون أنها كانت حرباً بين فرنسا والإسلام [1].

ويضيف قائلا : "وحقد جديد بدأ سنة ١٨٣٠م عندما اعتدى الفرنسيون على الجزائر ... حقد على عرب المغرب لأنهم لم يستسلموا لفرنسا ويقدموا بلادهم هدية لها.وحقد على عرب المشرق لأنهم لم يتركوا إخوانهم لها تفعل بهم ماتريد" [2].

ويرى الدكتور حسين مؤنس - كما ذكر ذلك نذير حمدان - أن أشد المستشرقين تعصباً ضد الإسلام ورسوله هم الفرنسيون فهو يقول : " إن من النادر أن تقرأ لمستشرق فرنسي شيئاً طيباً عن حياة الرسول (ﷺ) لأنه حتى لو وجد شيئاً فإن لسانه لايطيعه في كتابته ولو قاله فإنه يتحفظ في قوله تحفظاً بالغاً ، حتى يخيل اليك أنه يخشى الوقوع في النار " [3].

نعم لقد كانت نشأة "سيديو" الفرنسية وثقافته الغربية وديانته المخالفة للإسلام والعداء السياسي الديني المتمثل في الحروب الصليبية قديماً وفي الاستعمار الفرنسي للجزائر حديثاً دور بالغ وتأثير واضح جلي على ماكتبه "سيديو" في السيرة النبوية في كتابه : تاريخ العرب العام.

ومن آثار ذلك التأثير ، هذا الكم الهائل من الافتراءات والشبهات التي أودعها سيديو في ثنايا بحثه والتى لاتتوافق مع روح البحث العلمي النزيه.

---

١) البهي : ص ٥٦٨

٢) المصدر السابق : ص ٥٦٩

٣) نذير حمدان : ص ١٥

المبحث الثاني:

نقـــــد المصـــــادر:

سنتطرق في هذا المبحث الى أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها سيديو في كتابه : **تاريخ العرب العام** وسنخص بالذكر منها مايتعلق بالسيرة النبويه.

وبادي ذي بدء نقول إن سيديو لم يذكر لنا أي إحالة أو مصدر واضح استقى منه معلوماته حيث أهمل ذكر مصادره في هوامش الصفحات وفي ثبت المراجع في نهاية الكتاب.

وكل ماوقف عليه الباحث هو إحالات مقتضبة لبعض المصادر ذكرها سيديو في ثنايا بحثه ، وبالرجوع الى تلك الإحالات يمكن تقسيمها الى مايلى:

أ - إحالات عامة إلى العرب:

إذ لايعين فيها مؤلفاً بعينه وإنما ينسبها بشكل عام للعرب ومثال ذلك ، ماذكر سيديو عن أصل العرب إذ يقول : « ويُرجع العرب أصلهم إلى ذرية إبراهيم » (١) وحول بناء الكعبة وقصة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام يقول : «وفي أحاديث العرب غير إشارة الى العناية السماوية» (٢) وعن الأوضاع السياسية قبل الإسلام يقول : « ومما ذُكر في أقاصيص العرب وأخبار الروم نبأ ملكتين غسانتين مشهورتين » (٣) ويقول : « وكان لحكم التبابعة أدوار مجيدة ، وعنّ لمؤرخي العرب أن يجعلوه نموذجاً لكبريات الدول » (٤).

مما سبق من أمثلة نلاحظ أن «سيديو» لم يُشر إلى شخص بعينه وإنما عمم الإحالة دون ذكر لمصدرها.

---

١) ص ٣٠

٢) ص ٣٠

٣) ص ٣٩

٤) ص ٤١

ب - إحالات إلى مؤرخين مسلمين:

أحال سيديو إلى بعض المؤرخين المسلمين حيث أورد نصاً للمسعودي في وصف الحياة الاقتصادية قبل الإسلام حيث قال : « قال المسعودي : « كان أهل اليمن في أطيب عيش وأرفهه وأهنأ حال وأرغده » ويورد نقلاً عن المقريزي بقوله : « وعند المقريزي أن الخط الحميري المعروف بالمسند كان مؤلفاً من حروف منفصلة » (١).

ولا نجد عند سيديو أي ذكر أو إحالة إلى المصادر المعتبرة في السيرة النبوية.

ج - إحالات إلى غربيين:

في وصفه للشعوب قبل الإسلام يقول عن الأنباط : ورجعهم «كاترمير» في مذكرته التي استشهدنا بها الى أصل آرامي أو سرياني مدعياً أنهم أتوا من شواطىء دجلة والفرات وألقى «يودوروس الصقلي» نوراً على أخلاقهم» (٢).

وعن الحياة السياسية قبل الإسلام يقول : « وزعم المؤرخ سقراط أن مائة الف عربي هلكوا في الفرات سنة ٤٤٨» (٣) [illegible] أحد ملوك المناذرة يستشهد بقول « بروكوب » إذ يقول : « قال «بروكوب» : ظل هذا الملك أشد أعداء الروم إرهاباً مدة تسع وأربعين سنة» (٤).

وحول القرآن يستشهد بقول «مسيو إلسنر» فيقول : « ويجب أن يُعترف كما أصاب مسيو إلسنر في قوله بأن محمد أثبت على منواله ، خلود الروح والقليل من الناس من يحي في ذاكرة الكون » (٥).

---

١) ص ٤٠
٢) ص ٣٣ - ٣٤
٣) ص ٣٨
٤) ص ٣٨
٥) ص ٨١

وحول حجة الوداع يقول : « ومن قصة الحج الذي أتمه النبي سنة ٦٣٢ كما رواها «مسيو كوسان دوبرسفال» نعلم المناسك التى فُرضت على المؤمنين»(١)·

هذه هي أهم الإحالات والاستشهادات التي أثبتها سيديو بين ثنايا بحثه وكما يلاحظ أن جل هذه الإحالات تركزت في فترة ماقبل العهد النبوي·

كما يلاحظ أن هذه الإحالات أهملت أو تجاهلت ذكر أي من المصادر في السيرة النبوية عند المسلمين، كما أن عدم ذكر المصادر والمراجع التي استقى المؤلف معلوماته منها وعدم توثيق النصوص التي يستشهد بها يُعد خطأ منهجياً يتعارض مع أساسيات منهج البحث العلمي·

---

١) ص ٩٢



الخاتمة

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم وبعد :

يوجد خلل كبير من الناحية المنهجية في ماكتبه سيديو عن السيرة النبوية ويتمثل هذا الخلل في التالي:

أولا : اعتمد سيديو كثيراً على وجهات نظر استشراقية سابقة وكانت هذه الآراء بعيداً عن الصواب ولم يرجع إلى المصادر الأصلية للسيرة النبوية.

ثانيا: لم يكن سيديو في كثير من آراءه دقيقاً في عباراته كما أنه لم يكن دقيقاً في استنتاجاته وذلك كقوله في حق الرسول (ﷺ) أنه سياسي يبحث عن الزعامة والملك وكذلك استنتاجه بأن العلاقه بين الرسول (ﷺ) وأصحابه لم تُبن على الطاعة والاحترام.

ثالثا: انعكست في مختلف آراءه نزعته الحاقدة على الإسلام ومن هذا المنطلق جاءت تشويهاته الكثيرة للسيرة النبوية والدين الإسلامي ومن أمثلة ذلك: الطعن في شخصية الرسول (ﷺ) وقذفها بالنقص وعدم الوضوح ، وقوله تأثر الرسول بالديانات الأخرى ، وأن القرآن كتاب مبتكر من صنع الرسول (ﷺ) ، وتفسيره للوحي بأنه إحساس ديني نضج في فؤاد الرسول (ﷺ).

رابعاً: عرض سيديو آراءه السابقة في كتابه في صورة المسلمات وإن كنا لانلزمه أن يؤمن بما نؤمن به إلا أن المنهج العلمي يفرض عليه أن يقدم الأدلة العلمية المعتبرة على آراءه تلك كما يلزمه كذلك بأن يعرض لآراء المسلمين في تلك القضايا مأخوذة من مصادرها الصحيحة.

ختاماً:

أورد المؤلف في الفصول الأخيرة من الكتاب شيئاً من الإطراء والمديح للحضارة العربية وما قدمته في مجال العلوم التجريبية والتطبيقية ، إلا أن الباحث لايوافق رأي مترجم الكتاب : **عادل زعيتر** عندما وصف الكتاب بأنه خير ما ألّف في اللغتين الفرنسية والإنجليزية [1] فالكتاب وإن أورد شيئاً من الثناء على جهود العرب في مجال العلوم التجريبية إلا أنه في مجال السيرة النبوية - كما رأينا - قد مليء بالافتراءات والاتهامات والحياد عن جادة الصواب في كثير من المواطن.

---

1) سيديو: تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر ص٣

الفهـــــــــــــــارس

فهرس الآيات القرآنية

مسلسل	الآيــــــــــــــة	رقم الصفحة
١	(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصرهـم لقدير....)	٦٣
٢	(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت....)	٤٢
٣	(الم غلبت الروم في أدنى الأرض....)	٥٣
٤	(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي....)	٦٧
٥	(عبس وتولى أن جاءه الأعمى....)	٥٣
٦	(عفا الله عنك لم أذنت لهم....)	٥٣
٧	(فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم....)	٦٢
٨	(لا إكراه في الدين ....)	٦٢
٩	(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق .....)	٥٣
١٠	(لقد كفرالذين قالوا إن الله هوالمسيح عيسى بن مريم)	٤٨
١١	(ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج.....)	٦٤
١٢	(مايوه الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ...)	٤٩
١٣	(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا...)	٤٨
١٤	(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق....)	٥٣
١٥	(وإن الله على نصرهم لقدير....)	٦١
١٦	(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ....)	٦٢

فهرس الأحاديث النبوية

أهم المصادر والمراجع

١ - ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن - (ت ٦٣٠هـ)

الكامل في التاريخ (بيروت - دار الكتب العلميه - ١٣٨٦هـ)

٢ - أرنولـــد : توماس

الدعوه الى الاسلام (القاهره - ١٩٧٠م)٠

٣ - الأعظمـــي : وليد

الرسول (ﷺ) في قلوب أصحابه (مطبعة الوطن العربي - ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)٠

٤ - الأهوانـــي : أحمد فؤاد

«مايقال عن الاسلام» الأزهر عدد ١ محرم ١٣٨٧هـ/ ابريل ١٩٦٧م)٠

٥ - بـــاز : عبد الكريم على

افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي (جده - تهامة - ١٤٠٣هـ)٠

٦ - البخـــاري : محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)

(صحيح البخاري (القاهره-دار إحياء الكتب العربيه)٠

٧ - بـــدوي : عبد الرحمن

موسوعة المستشرقين، ط٢ (بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٨٩م)٠

٨ - بروكلمـان : كارل

تاريخ الشعوب الإسلاميه ، ط١٢ ترجمة نبيه أمين فارس - منير البعلبكي (بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٨٤م)٠

٩ - بفانموللر : جوستاف

سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في تصورات الغربيين، ترجمة

: محمود حمدي زقزوق (البحرين - مكتبة ابن تيميه - ١٤٠٦هـ)٠

١٠- بلاشيـــــر:

القرآن نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره (بيروت - دار الكتاب اللبناني-١٩٧٤م)

١١- البيلـــي : محمد بركات

«الخلفية التاريخية للاستشراق ومنهجه في كتابة التاريخ الإسلامي» المنهل (العدد المتخصص ٤٧١ - ١٤٠٩هـ)٠

١٢- ابن تيمية:أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ)

مجموع الفتاوي - جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (الرياض - مكتبة دار المعارف) ج ٢٨٠

١٣- الجبـــري عبد المتعال محمد

السيرة النبوية وأوهام المستشرقين (القاهرة - مكتبة وهبة - ١٤٠٨هـ)٠

١٤- الجــزري :ابن الاثير (ت ٦٠٦هـ)

جامع الأصول من أحاديث الرسول ،ط٢ تحقيق : محمد حامد الفقي (بيروت - دار احياء التراث العربي - ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ج١٠

١٥- جمعية الإسلام والغرب:

صورة الإسلام والمسلمين في كتب التاريخ المدرسية المقررة في الدول الغربية (مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي - ١٤٠٦هـ)٠

١٦- الجنـــدي : أنور

«الاستشراق ومجافاته لتاريخ الأمة الإسلامية وثقافتها» مجلة المنهل (العدد المتخصص ٤٧١-١٤٠٩هـ)٠

١٧- الجنـــدي : أنور

"مؤامرات الاستشراق على الإسلام"، منار الإسلام عدد ٨ (شعبان ١٤٠٩هـ/مارس ١٩٨٩م).

١٨- حافـــظ هاشم عبد السلام

سيرة نبي الهدى والرحمة (مكة - رابطة العالم الاسلامي -١٤٠٢هـ).

١٩- حسين : طه

على هامش السيرة - ط٢ (القاهرة).

٢٠- حلبـــي : مصطفى عمر

"الخلفية الثقافية لاتجاهات المستشرقين في دراسة شخصية الرسول (ﷺ)" (رسالة ماجستير - المعهد العالي - ١٤٠٩هـ).

٢١- حمـــدان : نذيـــر

الرسول (ﷺ) في كتابات المستشرقين (مكة- رابطة العالم الإسلامي - ١٤٠١هـ).

٢٢- حمـــزة : أحمـــد

"محمد في نظر أهل الغرب" لواء الإسلام عدد ٥ (محرم ١٣٧٢هـ/سبتمبر ١٩٥٢م).

٢٣- خليـــل : عماد الدين

التفسير الإسلامي للتاريخ - (بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٧٨م).

٢٤- خليـــل : عماد الدين

المستشرقون والسيرة النبوية (مبحث مقارن) (الدوحة - دار الثقافة - ١٤١٠هـ).

٢٥- خليــــل : محمد رشاد

المنهج الاسلامي لدراسة التاريخ وتفسيرة (الدار البيضاء - دار الثقافة - ١٤٠٦هـ)

٢٦- ابن خيــاط:

تاريخ خليفة بن خياط (القاهرة - ١٣٦٩هـ)٠

٢٧- الخولـــي : حلمـــي

«الرسول (ﷺ) في نظر الأعداء٠»، المجلة العربية عدد ١١٦ (رمضان ١٤٠٧هـ/مايو ١٩٨٧م)٠

٢٨- دروزة : محمد عزة

«موقف اليهود من الإسلام والمسلمين ونبي الإسلام محمد (ﷺ) في زمن النبوة الشريفة» ، مجلة حضارة الإسلام العدد٤ (جمادى الثاني ١٣٨٨هـ - أيلول ١٩٦٨م) : ص ١٢-٢١

٢٩- درمنغهــم : أميلـــي

حياة محمد ، ترجمة : عادل زعيتر (بيروت - المؤسسة العربية للدراسات - ١٩٨٨م)٠

٣٠- ديـــاب : محمد أحمد

أضواء على الاستشراق والمستشرقين (القاهرة - دار المنان - ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م)٠

٣١- دي باسكيه : روجيــه

«محمد المفترى عليه» حضارة الإسلام عدد ٤٠ (ذو الحجة ١٣٨٠هـ/آيار ١٩٦١م)٠

٣٢- دينيــه : أتييــن

«التفسير السكيولوجي لعزلة الرسول قبل البعثة» ترجمة: عبد

الحليم محمود - الأزهر عدد١ (محرم ١٣٦٦هـ)٠

٣٣- ديورانـت : ول:

قصة الحضارة - ترجمة : زكي بخيت محمود (القاهرة - مطابع الحجزي - ١٩٧٣م)٠

٣٤- الذهبـي : محمد بن أحمد

السيرة النبوية (بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤٠١هـ)٠

٣٥- الـرازي : محمد بن أبي بكر

مختار الصحاح (القاهرة - دار المعارف) مادة "فرط"٠

٣٦- زقـوق : محمود حمـدي

الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (بيروت - مؤسسة الرسالة -١٤٠٥هـ)٠

٣٧- زيـادة : نقـولا

«الغرب يشرق» مجلة الفكر العربي عدد ٣١-(١٩٨٣م)٠

٣٨- سالـم : السيد عبد العزيز

التاريخ والمؤرخون العرب (بيروت - دار النهضة - ١٤٠٦هـ)٠

٣٩- السامرائي : نعمان عبد الرزاق

في التفسير الإسلامي للتاريخ (الأردن - مكتبة المنار - ١٤٠٦هـ)٠

٤٠- السباعـي : مصطفـى

الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم (بيروت - دمشق - المكتب الإسلامي - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)٠

٤١- سعيـد : ادوارد

الاستشراق ، ترجمة : كمال أبو ديب (بيروت - مؤسسة البحوث العربية - ١٤٠٦هـ)٠

٤٢- السلمـــي : محمد بن صامل

منهج كتابة التاريخ الإسلامي (الرياض - دار طيبة - ١٤٠٦هـ)٠

٤٣- ســــوذرن : رديتشارد

صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطي (بيروت - معهد الإنماء العربي)٠

٤٤- سيديـــــو: أ٠ل٠

تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر ٠ (عيسى البابي وشركاه - ١٣٨٩هـ)٠

٤٥-سيديـــــو: أ٠ل٠

خلاصة تاريخ العرب، ترجمة : علي مبارك باشا (بيروت - دار الآثار - ١٤٠٠هـ)٠

٤٦- شعـــــوط : إبراهيم علي

أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ (القاهرة - ١٣٩٦هـ)٠

٤٧- الشويعـــر : محمد سعد

"ديورانت ونظرته إلى الرسالة المحمدية، عالم الكتب - المجلد الثالث عدد (٣) (محرم ١٤٠١هـ/نوفمبر١٩٨٠م)٠

٤٨- الصقار: سامي

"دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي" المنهل العدد التخصصي (٤٧١-١٤٠٩هـ)٠

٤٩- الطبـــري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)

تاريخ الأمم الملوك - (دار المعارف - القاهرة)٠

٥٠- عبـــــود: محمد

"منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي" مجلة المنهل

- (العدد التخصصي ٤٧١-١٤٠٩هـ)٠

٥١- عثمــــان : حسن

منهج البحث التاريخي (القاهرة - دار المعارف ١٩٤٣م)٠

٥٢- العسقلانـــي: ابن حجر

فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط٤ تحقيق: محب الدين الخطيب ،محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة - المكتبة السلفية - ١٤٠٨هـ)٠

٥٣- العقيقــــي: نجيب

المستشرقون (القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٤)٠

٥٤- العمــــري : أكرم ضياء

«نظرات في دراسة السيرة النبوية» (المدينة المنورة - محاضرات الجامعة الإسلامية - ١٣٩٨/١٣٩٧هـ)٠

٥٥- غـــــراب : أحمد عبد الحميد

رؤية إسلامية للاستشراق (لندن - المنتدى الإسلامي - ١٤١١هـ)٠

٥٦- الغزالــــي : محمد

فقه السيرة - (عالم المعرفة)٠

٥٧- كاشــــــف : سيرة إسماعيل

مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه (بيروت - دار الرائد العربي - ١٤٠٣هـ)٠

٥٨- ابن كثيــر : أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ)

البداية والنهاية، ط٢ (دار الفكر العربي - ١٣٨٧هـ) ج٥

٥٩- ابن كثيــر : أبو الفداء اسماعيل

السيرة النبوية - تحقيق: مصطفى عبد الواحد (بيروت -دار

المعرفة - ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)٠

٦٠- كسبـــــه : طه محمد

«الإسلام في عيونهم» المجلة العربية عدد ٧١ (ذو الحجة ١٤٠٣هـ/ أكتوبر ١٩٨٣م)٠

٦١- لانـــــدو : روم

الإسلام والعرب ترجمة : منير البعلبكي (بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٧٧م)٠

٦٢- لويـــــس : برنارد

العرب في التاريخ ترجمة : أمين فارس ومحمود يوسف زايد (بيروت - ١٩٥٤م)٠

٦٣- المبارك كفوري: صفي الرحمن

الرحيق المختوم - (جدة - دار القبلة/دمشق - مؤسسة علوم القرآن - ١٤٠٨هـ)٠

٦٤- مسلـــــم : مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١)

صحيح مسلم - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)٠

٦٥- المصـــــري: جميل

«الفتوحات بين دوافعها الإسلامية ودعاوى المستشرقين» مجلة المنهل - (العدد المتخصص ٤٧١ - ١٤٠٩هـ)٠

٦٦- ابن نبـــــي :مالك

إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث - (القاهرة - مكتبة عمار - ١٩٧٠م)٠

٦٧- النـــــدوي : أبو الحسن علي

السيرة النبوية - (جدة - دار الشروق - ١٣٩٧هـ)٠

٦٨- ابن هشـــام : أبو محمد عبد الملك (ت ٢١٨هـ)

السيرة النبوية - (بيروت - دار القلم)٠

٦٩- وات : منتغمري

محمد في مكة ، محمد في المدينة - ترجمة شعبان بركات - (لبنان - المكتبة العصرية)٠

٧٠- وجـــدي : محمد فريد

«محمد (ﷺ) في تقدير المنصفين من قادة الفكر في أوروبا» نور الاسلام عدد ٩ (رمضان ١٣٥٥هـ)٠

المصادر الأجنبية:

71- BERNARD LEWIS

THE ARABS IN HISTORY (LONDON - HARPER COLOPHON BOOKS 1967).

72- HUSSAIN ASAF

ORINTALISM, ISLAM AND ISLAMISTS - (U.S.A AMANBOOK 1984).

73- MONTGOMERY WATT

MOHAMMAAD AT MECCA- (OXFORD UNIVERSITY PRESS,1979).

74- MONTGOMERY WATT

MOHAMMAD AT MADENAH -(CIVIL & MILITARY PRESS LTD, KARACHI-1981).

75- SEDILLOT LOUIS

GENERAL HISTORY OF ARAB.

فهرس المحتويات

المحتويات	رقم الصفحة

المحتـــويـــات | رقم الصفحة

المحتــــويــــات	رقم الصفحة